رسائل أنسي الحاج إلى غادة السمان



دار الطليعة - بيروت

رسائل أنسي الحاج
إلى
غادة السمان


مكتبة
الفكر الجديد

رسائل أنسي الحاج

إلى

غادة السمان

دار الطليعة للطباعة والنشر
بيروت



ص. ب ١١١٨١٣
الرمز البريدي ٩٠ ٧٢٠ ١١٠
بيروت ـ لبنان
تلفون ٠١/٣١٤٦٥٩
فاكس ٣٠٩٤٧٠ ـ ١ ـ ٩٦١
E.mail: daraltalia55@yahoo.com

الطبعة الأولى: كانون الثاني (يناير) ٢٠١٧

□ رسم **غادة السمّان** على الغلاف الأخير: للفنان **رافع الناصري**، كروكي (خطاطة) في مقهى.

□ **الخطوط**: للفنان حسين ماجد.



محاولة إهداء

أهدي هذه الرسائل

إلى الذين يعتقدون مثلي

أن للشاعر ألف مُلهمة ومُلهمة

وحبيبة واحدة اسمها الأبجدية . . .

والحبُ الذي لا يخونه الشاعر طوال العمر ،

اسمه : الشعر . .

غادة



لحظة "نوستالجيا" وحنين

لم أكتب لأنسي الحاج أي رسالة، فقد كنا نلتقي كل يوم تقريباً في مقهى "الهورس شو" ـ الحمرا، أو "الدولشي ڤيتا" و"الديبلومات" ـ الروشة، أو الأنكل سام" مقابل مدخل الجامعة الأميركية الرئيسي.. وهذه المقاهي أنقرضت اليوم!

لم أكتب لأنسي، لكنني عجزت عن تمزيق هذه الرسائل الرائعة أدبياً... وأياً كان الثمن.

غادة



المسألة بحاجة إلى وضوح، كثير من الوضوح. إنها أشبه بالطعم الذي تتركه في حلقي، بالجريمة. وأنا ممزَّق بين أن أكون فريسة الشعور بالذنب، وبين أن أُعلن في صراخ متواصل لا مسؤولّيتي، وأتشبّث كالطفل الوحيد بفكرة اللاّذنب المطْلَق.

المسألة بحاجة إلى وضوح وأنا إلى فَهْم: أن يُفهمني أحدٌ وأن أفهم نفسي. لم أشعر كهذه المرّة بالرعب أمام حالي. إنها المرّة الأولى التي يجرفني فيها الشعور، إلى هذا الحدّ الرهيب، بأنني على وشك الجنون. فلقد كنتُ دائماً مع نفسي حتّى في أحلك ظلماتها. كنتُ دائماً وحيداً ومع هذا كنتُ حاضراً بوضوح بل وبلذّة في هذه الوحدة. كنتُ أحيطها وتحيطني وأعلم أنّ فيّ شيئاً جيداً هو حصانتي وهو قيمتي وهو خلاصي في النهاية. والآن، يبدو لي أنني أَضَعْتُ كلّ شيء. أَضَعْتَ حتّى أسراري. وأنا أيضاً ضعتُ في نفسي. هل تدركين معنى هذا؟ لقد تمرّد فيّ، عليّ، تمرّدي القديم على العالم، التمرّد الذي كنتُ بواسطته أردّ الفعل وأندلع من قلب وحدتي كالنار. صرتُ موضوعاً لتمرّد الآخرين دون أن أقوى على الدفاع، على استرداد حقوقي. كنتُ أعرف أن أكذب أو أن أُخلص بحرارة. كنتُ أعرف أن أكون. كنتُ أعرف أن أكون لا مع الآخرين فحسب بل مع نفسي فيهم ومعهم. كنتُ حليفاً لنفسي. كنتُ

شريكاً لها. لم تكن مجرّد مرآة تعكس لي هيأتي بَصْمت وحياد وبرود، بل كانت تنتظرني لتهنئني أو تعلّمني أو تمدّني بالعزاء والموارد. هل استنفدتها؟ ماذا انتهى فيّ؟ لماذا صرتُ خالياً؟ ما الذي مات هنا، هنا، في هذا الثقل؟ لم أعد أعرف. للمرّة الأولى أفكّر وأعلن وأقول: لم أعد أَعرف. كنتُ دائماً أعرف. ماذا حدث؟ هل خرجتُ من شرنقةٍ مقدّسة إلى الواقع؟ هل هذه هي الوحدة الحقيقيّة وكلّ ما عرفتُه قبلاً لم يكن وحدة حقيقية؟ أهذه هي الغربة؟ أكلّ هذا الوقت لم أكن غريباً؟ لا. مستحيل. هناك شيءٌ آخر. لا بدّ، لا بدّ أن يكون شيء آخر. إنّ الأمر أشبه بالجريمة. إنني أعرف الآن ما هو أفظع من الوحدة وأشنع من الغربة. هذه هي علامة المجهول. لقد دخلتُ في دور العجز عن المعرفة، دور العجز عن التعبير. العجز الكامل. الأصيل. الحقيقي. العجز الذي أعلنتُ عنه قبل ثلاث سنوات ها هو يتمّ. لم أعد أقوى حتّى على الدفاع عن نفسي. حتّى على المطالبة والاحتجاج والرفض والتمرّد. حتى على الشعور بالمرارة والخيبة. إنّه الفراغ الذي لا شكل له؛ فراغٌ تتخّلله أحياناً ألفاظ وضحكاتٌ لكنها آنية. إنه العَدَم. لم يَرَه أحد كما أراه. كما **يراني**. لقد فقدتُ عينيّ فيه. الأمر أشبه بالجريمة؟ بل هو جريمة. جريمة فقط. لا دفاع ولا اتهام. يجب أن أشكر هذا القَلَم الذي ما يزال يُسعف نفسه على إيجاد الكلمات التقريبيّة.

لا دفاع ولا اتهام. أقف في الوَسَط:

ـ رئيس المحكمة: أيها المُتّهم، ماذا تقول؟



ـ المتهم: . . . (يسبقه الوقت. الوقت يمرّ بسرعة وهو لا يستطيع أن يتكلم).

ـ رئيس المحكمة: ماذا تطلب؟

ـ المتهم: . . . (يحرك شفتيه ليقول شيئاً. لا أحد ينتبه. يمرّ الوقت. تبدأ الجوّقة في العزف. ينهار السقف وترتفع أصوات تحت الأرض. هيّا. مثل بعض. لا أمل في شيء ولا قيمة لشيء).

ـ رئيس المحكمة: رُفعت الجلسة للمذاكرة.

نعم. القرار لا يهمّ. ما الفرق بين التجريم والتبرئة؟ المُتهم لا يصل إليه قرار الآخرين. إنّه غير موجود في نفسه. هو يعرف، من بعيد جداً، أنه إذا دافع عن نفسه بحرارة، كما كان يفعل في الماضي، يستطيع أن ينتزع على الأقلّ حقاً من حقوقه. إن في أعماقه شعوراً هزيلاً بأنه يستطيع. لكنّه لا يستطيع. إنه لا يتردّد، وإنما هو يعجز. إنه نوعٌ من التَعَب النهائيّ. لا أحد يفهم التَعَب النهائيّ. إنهم يقولون عن صاحبه: ليس له رغبة في الكلام. أو: ليس عنده حجة. أو: إنه أبله. أو: لو كان بريئاً حقّاً لانفجر. أو: لقد صَعَقَتْه جريمته.

هل أن جريمتي صَعَقَتني؟ هل أنا بريء؟ هل أنا مجرم؟ هل أنا متّهم؟ ماذا فعلت؟ ماذا فعلت؟ لماذا لا أريد أن أتكلّم؟ لماذا لا أستطيع أن أمشي هذه الخطوة؟ إنّ رأسي ألف قطعة. أيّة ضحيّة أنا؟ أية ضحية ضحيّتي؟ من هم أولئك الذين لا يعرفونني؟ لماذا أتحدث إليكِ أنتِ، أنتِ، دون سواكِ؟ مَنْ

أنتِ؟ لماذا أَنتقدكِ؟ لماذا أغضب عليكِ؟ هل هذا هو الجنون؟ لا أريد أن أحبّ. لا أريد أن أحبّ **هكذا**. لا أريد أن أَفقد الشعور بما يصيبني، لا أريد أن أفقد القدرة على تعيين مشاعري ونوعيّة مشاكلي وعواطفي ومواقفي. لا أريد أن أتبدد في فوضى الدماغ. أريد أن أقيم النظام في قلب هذه الفوضى. أريد أن أقبض على مركز الأشياء ولا أريد أن أبقى مبعثراً فيها. لا أريد أن يسقط عقلي وتصبح أحلامي بغيضة ومخيلتي لعنةً عليّ. أريد أن أفقد الأرض والسماء **وحدي**. لا أريد أن أقترف الجريمة **وحدي**، لا أستطيع **وحدي** أن أحمل يديّ.

غادة،

الوضوح الذي أنا بحاجة إليه لم أقدّمه. كنتُ أعرف أنني سأفشل في تقديمه. لكنني أردتُ أن أجرّب. أردت، لأنني أطمع بمشاركتك. أطمع بها إلى حدّ بعيد جدّاً. لكن رغم هذا أعتقد أنني سأقول لك شيئاً واضحاً. وقبل كل شيء، هذا: إنّني بحاجة إليك. (إذا ضحكتِ الآن بينكِ وبين نفسكِ سخريةً من هذه العبارة، فسيكون معناه أنك لا تحترمين مأساتي. ولن أغتفر لك ذلك أبداً). تتذكرين دون ريب أنّك ضحكتِ مرّة، بمرارة، وانتقامٍ دفين، وشكٍّ وسخرية، حيث قلتُ لكِ إنني بحاجةٍ إليك. وربما فكرتِ: كيف يعرف أنّه بحاجة إليّ، أنا بالذات، شخصٌ لا يعرف عنّي شيئاً، ولا أعرف عنه شيئاً، ولا يعرف إذا كنتُ، أنا، (أي أنتِ) بحاجةٍ إلى أن يكون أحدٌ بحاجة إليّ... وربما فكّرتِ (وأنا لو كنتُ مكانكِ لجاءتني الأفكار نفسها)

أيضاً، إنني، في تسرّعي للقبض على الفرصة السانحة (السانحة في الظاهر) نسيتُ حتّى أن أكون لبقاً، أو أن أذهب بمراوغتي مذهباً ذكياً على الأقل، فلا أصوغ "حاجتي" بتلك العبارات المسلوقة، المبتذلة، المبريّة حتى الاهتراء على بلاط النفاق البشري والتعاملات العابرة والزَيَف والخبث والتدجيل. وربّما، أخيراً، (ولو كنتَ مكانكِ لفعلت) وربّما فكّرتِ: أإلى هذه الدرجة يظنّني وطيئة المستوى، فلا يكّلف نفسه، معي، مشّقة الارتفاع بالنفاق إلى حدّ أكثر جاذبيّة، على الأقلّ؟

ولا أستبعد أن تكون هذه الأفكار، وغيرها أمرّ، قد راودتك في مناسبات أخرى. فقد كانت معظم مواقفي الظاهريّة معك مواقف ناقصة تحمل كثيراً على الشكّ وأحياناً على الاستخفاف والألم والرغبة في تأكيد الذات بنوعٍ من القسوة حتّى لا أقول الظلم. لكن يا عزيزتي (يا لهذه اللفظة السخيفة!) دعيني أوضح مرّة أخرى، وأرجو أن لا تضجري.

قبل أن اتّصل بك للمرّة الأولى كنت أعلم، لكن ربّما أقلّ من الآن، أنني بحاجة إلى إنسان. بحاجة إلى إنسان يتناسب، في ذكائه وإحساسه وطاقاته جميعاً، الإيجابية منها والسلبية، مع ما أنا فيه، وما سأصير فيه. وفكّرت طويلاً. ورفضتُ، شيئاً بعد شيء، كل الحلول التي مرّت بفكري. ورفضت كل الأشخاص، ممّن أعرفهم وممّن لا أعرفهم، الذين استعرضتهم. وعندما اتصلت بك للمرة الأولى كنتِ ما تزالين مجرّد إمكانيّة غامضة، لكن قوّية. وظلّت هذه الإمكانية غامضة عندما قابلتك للمرّة

الأولى. وظلّت غامضة أيضاً عندما قابلتك في المرة الثانية، لكنها ازدادت قوّة. وفي ما بعد، أصبحتِ أنت التجسيد للإنسان الذي أنا بحاجةٍ مصيريّة ملّحة وعميقة وعظيمة ورهيبة إليه. أصبحتِ أنتِ هذا الإنسان لا لأنني أنا صنعتُه منكِ، فحسب، بل لأنّك كنتِ أهلاً لذلك. كنتِ أهلاً لذلك رغم أنّك ما تزالين، بالنسبة لي، منغلقة على نفسك ترفضين الخروج إليّ بالعري الذي أشتهيه وأريد أن أتحمل وزره.

هل حدث هذا التجسيد بسرعة؟ أتتّهمينه بأنه مسلوق سلقاً؟ بأنه من تصوير خيال مريض؟ بأنه إسقاط نفسيّ؟ بأنه انتهازيّ ووصولي؟ لا يا **غادة**. السرعة التي تتصورينها ليست في الحقيقة، سرعة. ربّما كانت كذلك بالنسبة لمتفرّج من الخارج لا يعرف شيئاً عن الدوافع البعيدة والمخفيّة واللامباشرة. أؤكّد لكِ أن العمليّة تمّت، على العكس، ببطء. نعم ببطء. وأعتقد أنني بذلت حتى الآن جهوداً جبّارة لكي أستطيع الصمود أمام عدم تصديقك وأمام تريّثك وأمام انغلاقك وأمام رفضك وصمتك وابتساماتك التي تظنين أنّني لا أدرك مغزاها العميق. بذلتُ جهوداً عنيفة لكي لا أنهار ولكي أحتفظ أمامك بشيء من الاستمرار والقناعة. ولو نفذتِ إلى أعماقي لهالك المنظر: منظر القتل والتقتيل والموت.

بحاجةٍ، إذن، إليكِ.

لا، لستِ مجرّد خشبة إنقاذ بالنسبة لي. عندما أقول أنا بحاجةٍ عظيمة إليكِ فمعناه أنّني، كذلك، بحاجةٍ إلى من يكون

بحاجة، عظيمة، وربّما أعظم بكثير من حاجتي، إليّ. . . إنّ لجوئي إليكِ لس لجوء إنسان إلى شيء، بل لجوء إنسان إلى إنسانٍ آخر. إنه رغبةٌ في الارتباط. وإذا كنتُ أريد أن أتخطّى وضعي فيكِ فإنّني أريد، كذلك، أن تتخطّي وضعكِ فيّ. ليس مثلي من يدرك معنى الكلمات **يا غادة**: معناها العميق، الحقيقي، الثقيل، المُلْزِم، والمحرِّر أيضاً. ليس مثلي من يدرك معنى صَرْخة: أحبّك.

لقد ذكرتُ لكِ، فوق، كلمة جريمة. لماذا؟ لا أعرف. أريدك أن تساعديني على تحديد هذا الشعور، وعلى معرفة أمور كثيرة غيره. أريدك أن تكوني معي. أن تكوني لي. أريد، أكثر من ذلك، أن أكون لكِ.

سأتوقف الآن عن الحكي. الساعة الرابعة والربع صباحاً. لا أعرف إذ كان الخطّ سيكون سيّئاً اليوم أيضاً وأُخطئك. الويل لي إذا لم أستطع أن أراك اليوم. هل تنامين؟ هل تحلمين بشيء جميل؟ الويل لي إذا لم أرك. ماذا سأفعل الآن؟ أنام؟ مستحيل. بلى. يجب. قليلٌ من الشجاعة أيها الجبان.

٢/ ١٢/ ١٩٦٣




مكتبة
الفكر الجديد

المسألة بالنسبة إليّ وضوح، أكثر من الوضوح. إنها أشبه
بالطعم الذي نتركه في حلقي، بالجريمة. وأنا ممزق بين أن أكون
فريسة الشعور بالذنب، وبين أن أظل في صراع متواصل
لا مسؤوليتي، وأتشبث كالطفل الوحيد بفكرة الأرنب الخائف
المسألة بالنسبة إليّ وضوح وأنا إلى فهم: أن يفهمني
أحد وأن أفهم نفسي. لم أشعر كهذه المرة بالرعب أمام
حالي. إنها المرة الأولى التي يعرفني فيها الشعور، إلى هذا الحد
الرهيب، أنني على وشك الجنون. فلقد كنت دائماً مع نفسي،
حتى في أحلك ظلماتي. كنت دائماً وحيداً ومع هذا كنت فاخراً
بوضوح بل وبلذة في هذه الوحدة. كنت أحيط ذاتي
وأعلم أنه في شخصياً جيداً قد عطاني وحق فيها وهم خالص
في الشركة. والآن، يبدو لي أنني أضعف كل شيء أضعف
حتى أسراري. وأنا أيضاً ضعيف في نفسي. هل تدركين
معنى هذا؟ لقد تمرد عليّ، عليّ، تمردي القديم على العالم



الشر الذي كنت بؤرته أرد الفعل وأندفع من قلب
وحدتي كالنار. صرت معصوماً لشر الآخرين دون أن أقوى
على الدفاع، على استرداد حقوقي. كنت أعرف أن أكذب
أو أن أخلص بمرارة. كنت أعرف أن أكره. كنت أعرف
أن أكره لا مع الآخرين فحسب بل مع نفسي فيهم ومعهم
كنت حليفاً لنفسي. كنت شريكاً لهم. لم تكن مجرد مرآة
تعكس لي حياتي بعبث وحياد وبرود، بل كانت تنظر في
لتربكني أو تعلمني أو تهددني بالعنف والكوارث. هل استفززتني
ماذا رأيت فيّ؟ لماذا صرت ظالماً؟ ما الذي عاث هنا، هنا
في هذا الشقل؟ لم أعد أعرف. للمرة الأولى أتألم وأتلقى
ردّ الفعل: لم أعد أعرف. كنت دائماً أعرف. ماذا حدث؟
هل فرغت من شر نفسي فقدته إلى الواقع؟ هل هذه
هي الوحدة الحقيقية؟ وكل ما عرفته قبلاً لم يكن وحدة
حقيقية؟ أهذه هي الغربة؟ أإلى هذا الوقت لم أكن
غريباً؟ لا. مستحيل. هناك شيء آخر. لا بد لا بد أن



يعود شيئاً آخر. إن الأمر أشبه بالجريمة. إنني أعرف
الشيء ما هو أفظع من الوحدة وأشنع من الغربة. هذه هي
ملامح المجهول. لقد دخلت في دور العجز عن المعرفة، دور
العجز عن التعبير. العجز الكامل. الأصيل. الحقيقي. العجز
الذي أعلنت عنه قبل ثلاث سنوات ها هو يتم. لم أعد
أقدر حتى على الدفاع عن نفسي. حتى على المطالبة والاحتجاج
والرفض والتمرد. حتى على الشعور المدرك والكبير. إن
النزيف الذي لا شكل له؟ فرغم تشكله أحياناً ألفاظ
وكلمات لكنها آنية. إنه القدم، لم يره أحد كما أراه
كما ينزف. لقد فقدت عيني فيه. الأمر أشبه
بالجريمة؟ بل هو جريمة. جريمة فقط. لا دفاع ولا اتهام.
حتى أن أشكر هذا القلم الذي ما يزال يسعف نفسه
على إيجاد الكلمات التقريبية. لا دفاع ولا اتهام. إنني
في الوسط.

- رئيس المحكمة: أيها المتهم - ماذا تقول؟
- المتهم: ... (يسبقه الوقت. الدفتر بيده جدا !!



[illegible] أنت يا أمير

رئيس الكهنة: ماذا تطلب!

الأمير: ... (يبرز مشنقة ليعلق شيئاً، لا أحد ينتبه، يمر

الوقت. تبدأ الجوقة في العزف. ينهار السقف وتتدفق

أصوات تحت الأرض. حيا. قتل بعضا. لا أمل في شيء

ولا أحبك لشيء.)

رئيس الكهنة: رفعت الجلسة للمذاكرة.

نعم، القضاء لا يفهم. ما الفرق بين التجريم

والتبرئة؟ المتهم لا يصل إليه قرار الأفرقين. إنه غير

موجود في نفسه، هو يعرف - من بعيد جداً - أنه إذا دافع

عن نفسه بمرارة، كما كان يفعل في الماضي، يستطيع أن

ينتزع على الأقل شيئاً من حقوقه. بل في أعماقه شعوراً

حزيناً أنه يستطيع، لكنه لا يستطيع. إنه لا يتردد،

وإنما هو يعجز. إنه نوع من الشعب التركي. لا

أحد يفهم الشعب التركي. إنهم يتعاملون مع صاحبه؛ ليس



له رغبة في الكلام ، أو : ليس عنده شيء ، أو : إنه أبله .

أو : لم يعد يريد شيئاً حقاً لا يتغير ، أو : لقد صفعته بريشة .

هل أنا جديرة صفعتني ؟ هل أنا بريء ؟ هل أنا

مجرم ؟ هل أنا متهم ؟ ماذا قلت ؟ ماذا فعلت ؟ لماذا لا أريد

أن أتكلم ؟ لماذا لا أستطيع أن أمشي هذه الخطوة ؟ إنه

يأسي ألف قطعة . أنا ضحية أنا ؟ أم ضحية صمتي ؟ من

هم أولئك الذين لا يعرفونني ؟ لماذا أتحدث إليك أنت ،

أنت ، دون سواك ؟ من أنت ؟ لماذا أنتقدك ؟ لماذا أعاتب

نفسك ؟ هل هذا هو الجنون ؟ لا أريد أن أجن . لا أريد أن

أجن هكذا . لا أريد أن أفقد الشعور بما يلينني ، لا أريد

أن أفقد القدرة على تقسيم مشاعري وفرز مشاكلي وعواطفي

ومواقفي . لا أريد أن أتبدد في فوضى الدماغ . أريد أن

أقيم النظام في قلب هذه الفوضى . أريد أن أقبض على

مركز الأشياء ولا أريد أن أبقى مبعثراً فيها . لا أريد أن

يسقط عقلي فأصبح أحلامي بخيلة ومثلي لعنة علي .



لا أريد أن أفقد الأرض والسماء وحدي. لا أريد أن أقترف
الجريمة وحدي، لا أستطيع وحدي أن أحمل يدي.

نظارة

الوضوح الذي أنا بحاجة إليه لم أفقده. كنت أعرف
أنني سأحتمل هذا في تقديره. لكنني أحببت أن أجرب. أحببت
لأنني أطمع بمشاركتك. أطمع بما هو بعيد جداً. لكن
رغم هذا أعتقد أنني سأقول لك شيئاً واضحاً. وقبل كل شيء، هذا:
إنني بحاجة إليك. (إذا ضحكت الآن بينك وبين نفسك سخرية من
هذه العبارة، فسيكون معناه أنك لا تعرفين مأساتي. ولن أغفر
لك ذلك أبداً) تذكريها بعد أن تكوني ضحكت مرة، مرارة،
وانتقام، وفيض، وشك، وسخرية، حين قلت لك إنني بحاجة إليك.
وربما تكرر: كيف يعرف أنه بحاجة إليّ، أنا بالذات، شخص
لا يعرف عني شيئاً، ولا أعرف عنه شيئاً، ولا يعرف إذا
كنتُ، أنا، (أي أنتِ). بحاجة إلى أن يكون أحداً بحاجة إليّ...
وربما تكرر (وأنا لو كنتُ مكانك لجاءتني الأفكار نفسها) أيضاً،



ثانياً، في تشريحي للقبض على الفرصة السانحة (السانحة في الظاهر)

نسيت حتى أن أكون لبقاً، أو أن أدع برودتي منحنياً ذليلاً

على الأقل، فلا أفضح رغبتي، بتلك العبارات المسلوخة المبتذلة

الكسيحة حتى الاهتراء على بلاط النفاق البشري والتعاملات

الطافحة بالتزييف والكذب والتدجيل، وربما - أقول - (ولو كنت

ممثلاً لفعلت) وربما فكرت: إن هذه الدرجة يظنني وطيئة

المستوى، فلا يكلف نفسه، معي، مشقة الارتفاع بالنفاق

إلى حد أكثر جاذبية، على الأقل؟

ولا أستبعد أن تكون هذه الأفكار، وغيرها أيضاً، قد

راودتك في مناسبات أخرى. فقد كانت معظم مواقفي الظاهرية معك مواقف

ناشئة تحمل كثيراً على التشكك وأحياناً على الاستخفاف والألم والرغبة

في تأكيد الذات بنوع مثل التشبث حتى لا أقول الظلم. لكن

لم تعرفني (لا أحب اللفظة السخيفة) دعني أوضح مرة أخرى،

وبعد أن لم تجربني.

قبل أن أتصل بك للمرة الأولى كنت أعلم ما تكن



ربما أقل من الله - أنني بحاجة إلى انسان . بحاجة إلى انسان
يناسبني - في ذاته وإحساسه وطاقاته جميعا . الإيجابية منها
والسلبية ، مع ما أنا فيه ، وما سأصير فيه . وفكرت طويلا .
ورفضت ، شيئا بعد شيء ، كل الحلول التي عرضت لخاطري . ورفضت
كل الأشخاص ، ممن أعرفهم وممن لا أعرفهم ، الذين استعرضتهم
وعندما أرهقت نفسي للمرة الأولى كنت ما تزالين مجرد امكانية غامضة ،
لكن مفرحة . وظلت هذه الامكانية غامضة عندما قابلتك للمرة الأولى
وظلت غامضة أيضا عندما قابلتك في المرة الثانية . لكنها ازدادت قوة
وفي ما بعد - أحسست أنك التجسيد للانسان الذي أنا بحاجة ،
حاجة ملحة وعميقة وعظيمة وحقيقية إليه . أحسست أنك
هذا الانسان لا لأنني أنا صنعتك هكذا ، فحسب ، بل لأنك
كنت أهلا لذلك . كنت أهلا لذلك رغم أنك ما تزالين بالنسبة
لي ، منغلقة على نفسك تغلقين الأبواب إلى العالم الذي أعيشه
وأريد أن أكمل معه .

هل حدث هذا التجسيد بسرعة ؟ أتسمحين بأنه



مسلوق سلفاً ؟ إنه نص تعبير خيال مريض ؟ إنه إسقاط
نفسي ! إنه انتهازي ووصولي ؟ لا يا عزيزي. السرعة التي
تستعيذين بها، في الحقيقة، سرعة. ربما كانت كذلك بالنسبة
لمتفرج من الخارج لا يعرف شيئاً من الدوافع العميقة والخفية
واللاواعية لحركة، أؤكد لك أن العملية تمت، على العكس، ببطء. نعم
ببطء، وأعتقد أنني بذلت من الآن جهوداً جبارة لكي أستطيع
الصمود أمام عدم تصديقك وأمام ترددك وأمام انغلاقك
وأمام رفضك وصدك وابتساماتك التي تشعرني أنني لا أدرك
مغزاها العميق. بذلت جهوداً عنيفة لكي لا أنكر، ولكي
أحتفظ أمامك بشيء من الاستقرار والقناعة. ولو نفذت إلى
أعماقي لرأيت المنظر: منظر القتل والتقتيل والموت.

ناجي، بدون - أيضاً.

لا، لست مجرد خشبة إنقاذ بالنسبة لي. عندما أقول
لك ناجي، تعليقة الأخير مضحك أنني، كذلك - ناجي، إلى من يكون
ناجي، تعليقه - وربما أتكلم بأكبر من حاجتي، إلخ... إلا كذبي



ميلي ليس مجرد انشداد الى شيء، بل هو انشداد الى انسان آخر، إنه رغبة في الارتباط. وإذا كنت أريد أن أشكل وضعي فيكِ كما أنني أريد، كذلك، أن تشكلي وضعك فيّ. ليس قلبي من يدرك معنى الكلمات يا غادة: معناها العميق، الحقيقي، الثقيل، الملتزم، والمثمر أيضاً. ليس قلبي من يدرك معنى صرخة: أحبك.

لقد زرتك لكي، فقط، أكلمك عن حبي. لماذا؟ لست أعرف. أريدك أن تساعديني على تحديد هذا الشعور، وعلى معرفة أبعاد كثيرة غيره. أريدك أن تكوني معي. أن تكوني لي. أريد، أكثر من ذلك، أن أكون لك.

سأتوقف الآن عن الكتابة. الساعة الرابعة والربع صباحاً. لا أعرف إذا كان الحظ سيكون سيئاً اليوم أيضاً وأفتقدك. الويل لي إذا لم أستطع أن أراك اليوم. هل تفهمين؟ هل تفهمين شيئاً جميلاً؟ الويل لي إذا لم أرك. ماذا سأفعل إذن؟ أنام؟ مستحيل. بلى، يجب. "قليل من الشجاعة أيها الجبان."

٢/١٢/١٩٦٣



هل ممّا ينتقص من كرامة الإنسان أن يكون بحاجةٍ إلى إنسانٍ آخر؟ ربما لا وربما نعم. لكن المشكلة ليست في الجواب لا أو نعم. فسواءٌ كان الجواب لا أو نعم يبقى المحتاج محتاجاً. هذه هي المشكلة. لكن لا بأس.

كيف الحال؟ لستُ مشتاقاً إليكِ فحسب بل. . . بل ماذا؟ لا أعلم تماماً. الثابت أن هناك شيئاً آخر أَمْيَل إلى العشق. والأدهى من ذلك كلّه هو أنني أحبّ أن أحبّك. غير أن الفكرة التي أتتك الآن ليست صحيحة.

خطأ يا آنستي العزيزة. لا أحبّ أن أُحبّكِ لأنني أحبّ فكرة الحبّ الخ. . . لا. لقد تخطّيت هذه المرحلة. أُحبّ أن أحبّك لأنك تمثلين في نظري خشبة الخلاص الوحيدة الممكنة أو اللاممكنة. لماذا أنتِ بالذات؟ فلأشرح لكِ أيتها المجنونة الجميلة.

أولاً لأتحدّث عنكِ. .

أنتِ تظنين أنني هبطتّ عليكِ فجأةً وفجأةً قلت لك: أحبّك. وأنت تظنين أنني مارق وإنني، في الحقيقة، مستعدّ أن أهبط فجأةً على أي امرأةٍ أخرى وأقول لها، فجأة، أحبّك. لقد قالت لي ذات مساء امرأةٌ أحببتُها حتّى الموت: أنتَ تخيفني لأنك من النوع الذي يستطيع أن ينام مع ثلاث نساء مختلفات

في اليوم الواحد! وقالت لي مرة أيضاً: أعرف أنك ستملّني يوماً من الأيام كما مللت سواي قبلي! وقالت لي، هذه المرأة التي أحببتها حتى الموت، أشياء قاتلة كثيرة كهذه، رغم أني كنتُ، في الحقيقة، لها وحدها وكنتُ مصمّماً أن لا أكون إلاّ لها وحدها حتّى النهاية.

هل تعرفين لماذا انتهى ما كان بيننا؟ لأنها كانت تحبّني حتى العبادة ولم أكن أصدّقها، ولأنني كنت أعبدها حتى الجنون ولم تكن تصدّقني. لهذا. نعم. لأننا أحببنا أن نلعب لعبة الذكاء ونتبارى في من يكون سبَّاقاً إلى عدم الانخداع. كنتُ أنا أعرف، ضمناً، أنها لا تخادع، لكني كنتُ أماطل نفسي وأؤجّل ساعة اليقين ظناً مني أن الاستمرار بالشكّ دليل حذر ودليل رجولة ودليل ذكاء. حتّى كانت الكارثة.

أقول كارثة، كارثة، لم يكن هناك أيّ داعٍ لانهيار حبّنا. لقد حطّمناه بسخف ذكائنا الأبله.

هذه قصّة صغيرة ملّخصة رويت لك كلمة منها. لأنّك أنتِ أيضاً لا تصدّقين. لأنك أنتِ أيضاً ربّما تتصورين أنني من النوع الذي يخلع نساءه كما يخلع قمصانه. والواقع أنني النقيض الكامل لهذا النوع.

إن كل حلمي ينحصر بأن أحبّ امرأة واحدة حبّاً واحداً وحيداً وأخلص لها إلى النهاية وأستنفد نفسي وأجدّد نفسي وأستنفد نفسي وأجدّد نفسي معها إلى النهاية. حتى الآن إما أفشل في الوقوع على امرأة لائقة أو أحصل عليها وأفشل في

إقناعها بحقيقتي. إما أخلص لامرأة لا تستحق أو تُخلص لي امرأة لا أستحقها. وأنتِ، في هذا الخضمّ، أملي الأخير. لماذا أنتِ؟ لأنني انجذبتُ إليكِ انجذاباً لم أعرف له مثيلاً من قبل، لا في كيفيته ولا في نوعيّته. وأريدك أن تفهمي جيداً هذا الكلام.

أنت تحسبين أنني لا أعرف شيئاً عنكِ وأنتِ مخطئة. لا أعرف، ربّما، شيئاً عن حوادثك الشخصية وحياتك اليوميّة وماضيكِ وعلاقاتك البشريّة، لكنني أعرفك. أعرفك بالقدر الكافي ليجذبني إليك. أنتِ لا تؤمنين، ربّما، بالغيب. الغيب الحاضر المشّع، الراكب الرأس كالهاجس، الميّسر الأحوال، المدّبر الصدف، الصانع الأقدار. أنا أؤمن به. إن إلهي هو الصُدْفة. منذ أن بدأت الصحف تنشر اسمك وتنشر لكِ وتنشر عنكِ وشيء كالنسغ يسيل منكِ في عروقي. شيء كالضوء يلمع منك في رأسي، شيء كالوهج يجعلني مندهشاً ومتفاجئاً بكِ. شيء كالسرّ المتواطئ. كالشيطان. بل كالسحر. أنا أؤمن بهذا. كنت واثقاً أنني يجب أن أعرفك ويجب أن تنشأ بيننا علاقة حميمة، غير عادية. وكنتُ أقول في نفسي: لماذا يجب أن يعرفها كل هؤلاء إلا أنا؟(*) ألستُ أنا أحق من الجميع؟ كنت أشعر أنهم يظلمونني ويخطفونك منّي، وأن حقّي بك هو الحقّ الشرعي الوحيد.

من حقك أن تتعجبي وترفضي هذا الكلام. لكن إذا لم

(*) بعد صدور كتابي الأول **"عيناك قدري"** ـ ١٩٦٢، تكرم العديد من الأدباء والصحافيين اللبنانيين بزيارتي في بيتي في دمشق وبينهم من حاورني لمنبره وكان والدي يستقبلهم بحفاوة سعيداً باحتضان بيروت لي أديباً.



تصدقي فمعناه أنني مجنون. على كل حال قد أقبل منك هذه التهمة. لكن لا تقولي إنني أكذب.

أظن أنني كنت أحسّ بأنك منذورة لي. وكلّما كنت أطالع خبراً عنك كان يتوّلاني شعورٌ واضح بالغيرة والضيق والخوف. كنتُ أغار عليك من العالم. إنني أذكرك بلهجتي عندما كلمتك للمرة الأولى بالهاتف وكنتِ في دمشق. ألم تشعري بنبرات صوتي المليئة باللهفة؟ أم أنك نسبتها إلى المجاملة، أو إلى عادة كل رجل في التودّد؟ على كل حال لم يكن هناك لديك أي سبب معقول لتفكري في أي شيء.

وحين رأيتك للمرة الأولى ألم تلاحظي أنني لم أكن أقابل امرأة غريبة لا أعرفها وإنما امرأة كأنني أعرفتها من عهدٍ بعيد؟ ربما لم تلاحظي. أو لعلّك لاحظتِ ولم تفكري في شيء.

(أفكر الآن أنك قد تكونين مريضة اليوم فلا أراك. أمس أيضاً لم أرك. أفكر ماذا سأفعل. هل ستكونين مريضة اليوم؟ هناك شيء رهيب يتآمر عليّ في الخفاء. إنني مصابٌ بسرطان الزمن والخيبة).

أين كنت؟ كفى... يخيّل إليّ أنني سأخسر معركتي الأخيرة. ومهما قلتُ فلك أقول شيئاً مما أريد. إخرسِ إذن. إخرس أيها المسكين. لقد أُعطيت أن تتعلم دروساً كثيرةً لكنك لم تتعلم شيئاً. إلى أين ما تزال تمشي؟ إلى أين ما تزال تأمل؟ إنك تنتفض كالديك المذبوح. هذا هو كل شيء. أنزف بقيّة دمك وأنته.



أحقّاً؟ رغم كل شيء ما تزال عندي القوّة التي تمكّنني من المطالبة بأملي الأخير. إنني أرفض أن أستسلم قبل الدخول في هذا القَدَر. أريد أن أعرف للمرّة الأخيرة، وبكل قواي، مَنْ مِنْ الإثنين أشدّ ظلماً وقسوةً ولا معقولية: أنا أم العالم؟

أريد أن أنتزع الجواب، أن أنتزع الجواب بأسناني. لن أذهب قبل أن أعرف.

ليتك تعلمين كم أنتِ أساسيّة وخطيرة وحسّاسة. ليتك تعلمين كم أنتِ حيويّة ولا غنى عنك. ليتك تعلمين كم أنتِ كلّ شيء في صيرورتي. ليتك تعلمين كم أنتِ مسؤولة الآن.

لو تعلمين إلى أي درجة أنتِ مسؤولة عن مصيري الآن لارتجفتِ من الرعب. لقد أخترتكِ. وأنتِ مسؤولة عني شئتِ أم أبيتِ. لقد وضعتُ لعنتي الحرّة عليكِ.

هل يجب أن أعتذر إليكِ عن هذا الاختيار؟ لا أعتقد. في النهاية، لن تعرفي أجمل من حبّي. قد لا أكون واثقاً من شيء ثقتي بهذا الشيء. لا يمكن أن تعرفي أجمل من حبّي.

وأنتِ؟ هل أظلّ أتحدّث إليكِ دون حوار؟

لا. لا. لا يمكن أن يكون العالم قد أقفر إلى هذا الحدّ من الحنان. لا يمكن أن يكون العالم قد خلا هكذا دُفعةً واحدةً من الحبّ.

يمكن؟

فليخلُ. فلينتهِ الحبّ من الأرض وليذهب الناس إلى الجحيم. سأبقى وحدي أطبع حبّي على الحجارة. سأحبّ

وحدي الموت والأشباح. وسأحبّ النهار أيضاً. وسأحبّ انقراض نفسي العاشقة في هذا العالم الحقير. وسأحبّكِ.

ولن أقول شيئاً غير هذا.

٣ ـ ٤/ ١٢/ ١٩٦٣



هل مما ينتقص من كرامة الإنسان أن
يحس بحاجة إلى إنسان آخر؟ ربما لا
وربما نعم. لكن المشكلة ليست في الجواب
لا أو نعم. فسواء كان الجواب لا أو
نعم يبقى الكبرياء محتاجا. هذه هي المشكلة.
لكن لا تأسى.

كيف الحال؟ لست مشتاقا إليك
فمعجب بك... بل ماذا؟ لا أعلم تماما. الثابت
أن هناك شيئا آخر أميل إلى العشق. والأحرى
من ذلك كله هو أنني أحب أن أحبك.
غير أن الفكرة التي أتتك الآن ليست صحيحة.

خطأ يا آنستي العزيزة. لا أحب
أن أحبك لأنني أحب فكرة الحب الجميل.. لا
لقد تخطيت هذه المرحلة. أحب أن أحبك
لأنك تشبهين في نظري خشبة الخلاص
الوحيدة الممكنة أو اللاممكنة. لماذا أنت
بالذات؟ فالأشخاص كلهم أشباه المتعفنة
الجميلة.



أرجو، لا تحدثي نفسك..

أنتِ تظنين أنني خبأت لك مفاجأة ومفاجأة قلت لك: أحبك. وأنت تظنين أنني مازح أو أنني، في الحقيقة، مستعد أن أحط مفاجأة على أي امرأة، أغري وأفعل ليس، مفاجأة، أحبك.

لقد قالت لي ذات مساء امرأة أحببتها حتى الموت: أنت تخيفني لأنك من النوع الذي يستطيع أن ينام مع ثلاث نساء مختلفات في اليوم الواحد وقالت لي مرة أخرى: لن أصدقك مهما أقسمت أنك وفي لي لأنني أعرف أنك ستطلقني يوما من الأيام كما طلقت سواي قبلي! وقالت لي، هذه المرأة التي أحببتها حتى الموت - أشياء مماثلة كثيرة سمعتها، غير أني كنت، في الحقيقة، لها وحدها وكنت مقتنعا أن لا أكون إلا لها وحدها حتى النهاية.

هل تعرفين لماذا انتهى ما كان بيننا؟ لأنها كانت تحبني حتى العبادة ولم أكن أصدقها. ولأنني كنت أحبها حتى الجنون ولم تكن تصدقني أبدا. نعم، لأننا أحببنا أن نلعب لعبة الذكاء ونتبارى في من يجيد منا أكثر عدم الانخداع!



كنت أنا أعرفها ضمناً، أنك لا تخادعي، لكنني كنتُ أُماطل نفسي وأؤجل ساعة اليقين لأنها تعني أن الاستمرار بالشك دليل غيرة ودليل رجولته ودليل ذكاء. هي ثقافة الكارثة.

أشعر كأنه كارثة، لم يكن هناك أي داعٍ للانهيار غضباً. لقد قطعناه بسبب كل الأسباب.

هذه المرة صغيرة مقارنة بحيث لكل كارثة كبيرة. لأنك أنت أيضاً لا تصدقين. لأنك أنتِ أيضاً تتصورين أنني من النوع الذي يحلو تناوله كما يحلو بمطالعة. والقطيع الذي [illegible] لهذا النوع.

إني كل حاجتي تتمثل بأن أحب امرأة وحدة أحيا واحداً وحيداً وأخلص لها كي التي أركز وأستنفد نفسي وأجدد نفسي وأستنفد نفسي وأجدد نفسي معها إلى النهاية. هي الحياة، أما أن أشتغل في الوقوع على امرأة لا ثقة أو أعطل عليها وأشتغل في إطلاق تعقيدي. إما أخلص للمرأة لا أستحق أو أخلص لكل امرأة لا أستحقها.



وأنت، في هذا الخضم، أعلى الأشياء. لماذا أنت؟
لأنني انجذبت إليك انجذاباً لم أعرف له مثيلاً
من قبل، لا في كينونتي ولا في تصوراتي وحياتي
لم نفهم جيداً هذا الكلام.

• أنت تحسبين أنني لا أعرف شيئاً عنك
وأنت فطنة. لا أعرف ربما شيئاً عن
تفاصيل الشخصية وحياتك اليومية وماضيك
وطموحاتك المستقبلية، لكنني أعرفك. أعرفك بالقدر
الكافي ليجذبني إليك. أنت لا تؤمنين ربما
بالحب. الحب الحاضر المشتعل، الرائع الإنسي
الاستثنائي، المغير الأحوال، الأكبر الصدف
الصانع الأقدار. أنا أؤمن به. إنه الحب
مع الصدفة. منذ أن بدأت الصدفة تنتشر
أسكن وتنتشر بك وتنتشر منك وتسري
كالنسيم يسيل منك في عروقي. شيء ما
كالضوء يلمع منك في رأسي. شيء ما كالوحي
يجعلني مندهشاً ومنفعلاً بك. شيء ما كالسحر
المتساقط. كالشهبات. بل كالسحر. أنا
لا أعرف بعدها. لكنني واثق أنني يجب أن أعرفك
ويجب أن نصنع بيننا علاقة فريدة، غير عادية.



وكنت أصرخ في نفسي: لماذا يجب أن يعرفك كل هؤلاء الناس إذن؟ ألست أنا أحق من الجميع؟ كنت أشعر أنهم يظلمونني ويختطفونك مني، وأن حقي بك هو الحق الشرعي الوحيد.

من حقك أن تتعجبي وترفضي هذا الكلام. لكن إذا لم تصدقي فمعناه أنني مجنون. على كل حال قد أقبل منك هذه التهمة. لكن لا تعطيني إثم الكذب.

أظن أنني كنت أمشي بأذيالك [illegible]. وكلما كنت أطالع خبراً عنك [illegible] ينتابني شعور واضح بالغيرة والضيق والخوف. كنت أغار عليك من العالم. إنما أدرك بصعوبة عندما كلمتك للمرة الأولى بالهاتف وكنت في دمشق. ألم تشعري بنبرات صوتي المليئة بالرهبة؟ أم أنك نسيتني بين الكلمات والأوراق [illegible] كل رجل في النوادي؟ على كل حال لم يكن هناك لديك أي سبب معقول لتتذكري أي شيء.



وحين رأيتك للمرة الأولى ألم تلاحظي أنني لم أكن أتأمل امرأة غريبة لا أعرفها وإنما امرأة كأنني أعرفها منذ عهد بعيد؟ ربما لم تلاحظي. أم لعلك لاحظت ولم تعلقي على شيء.

(أفكر الليلة أنك قد تكونين برحلة السوبر فلا أراك. أمس أيضاً لم أرك. أفكر ماذا تفعلين وحدك مشلولين مرحلة السوبر؟ هناك شيء رهيب يتآمر على حس الكتابة. إنها مطالبة بسرعة الزمن والغيبة)

أين كنت؟ كفى... يخيل إلي أنني سأخسر معركتي الأخيرة. وعندها علي أن أقول شيئاً لما أريد. افرحي إذن. افرحي أيتها المسكينة. لقد أعطيت أن تتعلمي دروساً كثيرة لكنك لم تتعلمي شيئاً. إلى أين ما تزال تمشين؟ إلى أين ما تزال تطول؟ إنك تنتفضين كالديك المذبوح. هذا هو كل شيء. انزفي بقية دمك وابتسمي.

أحقاً؟ رغم كل شيء ما تزال عندي القدرة التي تمكنني من الكتابة إليك الأخير. إنني لا أتمنى أن أراه أستسلم قبل السقوط في هذا القدر. أريد



أن أعرفكِ للمرة الأخيرة ، وبكل قوتي ، حتى من
يرشّني أشد ظلماً وقسوة ولا معقولية :
أنا أم العالم .

أريد أن انتزع الجواب ، أن انتزع الجواب
كاملاً تماماً . لن أذهب قبل أن أعرف .

ليتكِ تعلمين كم أنتِ إنسانية وفطرية
وحساسة . ليتكِ تعلمين كم أنتِ حيوية
وبلا عنف منكِ . ليتكِ تعلمين كم أنتِ لا
تشبهين في صورتي . ليتكِ تعلمين كم أنتِ
مسؤولة الآن .

لم تعلمين إلى أي درجة أنتِ مسؤولة
عن مصيري الذي لا يختلف عن الرعب . لقد
ابنتكِ ، وأنتِ مسؤولة عن مستقبل أم
أبيتِ . لقد مضت لعنتي الكبرى عليكِ .

هل يجب أن أعتذر إليكِ من هذا
الاختيار ؟ لا أعتقد . في النزيه ، لن تعرفي
أجمل من حبي ، ولا أكثر وفاءً منه



شبحاً تمضي بهذا الشبح . لا يمكن أن تعرف
أجمل منه شيء .

وأنت ؟ . هل أظل أتحدث إليك دون
هدف ؟
لا . لا . لا يمكن أن يكون العالم قد
أفضى إلى هذا الحد من الكآبة . لا يمكن
أن يكون العالم قد خلا هكذا فجأة وبشدة
من الحب .

يمكن ؟
فليكن .
وليذهب الناس إلى الجحيم . سأبقى
وحدي أطبع قبلتي على الكآبة . سأبقى
وحدي الموت والأشباح . وسأبقى الشبح
أيضاً . وسأهب انفرادها تنبت العاطفة المشتعلة
في هذا العالم الكبير . وسأهبك .

ولن أقول شيئاً غير هذا .

٦٣/١٢/٤-٣



فجر الخميس ٥/ ١٢/ ٦٣

نصف الحبّ إرادة. النصف الآخر استعداد ومقبّلات.

قرّرتُ أنني **أريد** أن أحبّك.

لا أنوي تخويفك، لكن هذه هي الحقيقة: **أريد** أن أحبّك حتى النهاية.

فإمّا أنتِ، أو النهاية.

وفي الحالتين أنتِ ضميري.

وأنت أيضاً، أتظّنين أنّك لستِ في حاجة إليّ؟

(المعذرة عن الورق. لم يعد عندي وَرَق مليح)(*).

أنا لا أظن أنني وحدي بحاجة إليكِ. أنت أيضاً محتاجة إليّ.

فلتكن لكِ الشجاعة أن تعترفي بذلك. لقد كنتُ شجاعاً وقلتُ لكِ ما أنا فيه.

* * *

سخيف.

(*) الطريف ان أنسي كان يكتب رسائله لي على أوراق الدفاتر المدرسية أو على الوجه الثاني لـ"تلكس" وصل إلى جريدة "النهار" من وكالات الأنباء كما في رسالته الأخيرة التي تحمل على الوجه الثاني للورقة أنباء عن إمكانية غزو الفضاء والقمر!



بلى. أقصد أنا سخيف. ولا شك أنك تفكرين: لماذا يصرّ كل هذا الإصرار على افتعال شيء غريب؟ والسخف أنني أنا المسؤول عن جعلك تفكرين بهذه الطريقة لإخفاقي في تقديم الأشياء بالصيغة المقنعة.

هكذا معظم الأحيان.

أقصد هكذا معظم الأحيان عندما أكون صادقاً.

كنتُ في الماضي أستغرب ولا أفهم لماذا كان بروميثيوس يرفض طَلَب الرحمة. وكنت أغضب منه وأتهّمه بالتمثيل وأخْذ البوزات. ذلك أني لم أكن قد بلغت الدرجة الكافية من الشعور بالكرامة (هل تصدقين؟ حتّى هذه اللفظة أخجل بذكرها).

هل تعرفين لماذا أنا اليوم أرفض أن أطلب الرحمة؟ أن أطلبها، مثلاً، منكِ؟

لماذا؟ ألأنني أخجل بعواطفي؟ ألأنني فُطِمْتُ في العواطف قبل الأوان؟ ألأنني متكبر؟ أحمق؟ متحجّر؟ جبان؟

هناك أشخاص أُحبّهم للقتل، للجنون، ولكنهم لا يعرفون أنني أحبّهم ولا أعرف أن أعبّر لهم بل ولا أترك مجالاً لأعبّر لهم. وأظلّ أندم على جهلهم هذا، ولكن لا أستطيع أن أعمل شيئاً. وأخيراً أصحو فأجد أنني خسرتهم.

لماذا أنا هكذا؟

إنني أكره النهر. أكره المطر. أكره الشمس والشلّال والدم المتفجّر. آه كم أكره البراكين الثائرة!

فأنا مقيّد! وأرفض أن أفجّر عواطفي! ومن أحبّه لا يعرف!



ومن لا أحبّه لا يعرف! لا أحد يعرف! إنني لم أتعلّم كلمة واحدة أستطيع أن أقولها بملء أحشائي.

وأنتِ، اليوم أيضاً، ستعودين وأبقى وحيداً وحدي![*]...

* * *

إذهب أنت. اخرجوا من هنا، بسرعة. خذوا الكراسي معكم. كلوني في الخارج. لا أريد أن أرى أحداً. احرقوا الكتب جيّداً وفلّتوا الذئاب. اتركوا المفاتيح أمامي.

* * *

فيروز والرحبانيّان أوصلوني إلى بيتي. صعدتُ الدَرَج والنار والفراغ. الشيء الرائع الذي أريد أن أنساه. الشيء البديع العظيم الخياليّ الذي أريد أن أنساه، لا أحد يساعدني على قتله.

الجريمة ليست القتل. الجريمة أن لا نستطيع أن نقتل ما يجب أن نقتله. أنا هو المجْرم.

الشيء الرائع الذي أريد أن أنساه. الشيء الرائع الذي أريد أن أنساه. الشيء الرائع الذي أريد أن أنساه.

الشيء الذي لا أنساه.

الشيء الذي يجب يجب الشيء الذي **أريد** أن أنساه!!!

(*) كُنتُ مضطرة للعودة إلى "بستاني هول" في القسم الداخلي للبنات في حرم الجامعة الأميركية حيث كُنتُ أقيم، وكان عليَّ أن أصل قبل الساعة ١١ ليلاً حين تغلق الأبواب دونما استثناء. والشيء ذاته كان ينطبق على "جويت هول" و"ميوريكس هول" المجاورين، ولم يكن بوسعي السهر في الخارج بعد الساعة ١١ ليلاً.



أيّتها المرأة، أنتِ التي تقرأ هذه الأسطر، أنتِ.

اسكبي على عقليَ نارك. خذيني. افتحي لي باباً، افتحي لي قبراً، افتحي لي فراغاً ما.

فتّتي أعصابي، خذيني!

لم يصرخ أحدٌ قبليَ كهذه الصرخة:

خذيني!...

لا أريد أن يبقى منّي شيء. أريد أن أجدّد عهد صوفيّة الجسد والروح، وأفنى في امرأة. اتركيني أفعل فنائي فيكِ. اتركيني أصنع ما لا تصنعه غير يديّ في هذا العالم.

أريد أن أنفض كل الريش وأختفي.

أريد أن أختفي!

* * *

مسكين هو النوم! لقد وضعتُه في قفص. مات النوم.

طبعاً سنخترع نوماً آخر. ثم يموت.

هل تعرفين؟ سجّلي في يدك: لقد مات الموت!

* * *

أين أنتِ الآن؟

العالمُ الحقير كبيرٌ وشاسع. البَرْد واقفٌ في قلبي. المدينة؟ المدينة لفظة أدبيّة حلوة إلى حين. أما أنا فلم يَعُد يخرق رأسي لفظة واحدة. كأنني شبّيت وراهقتُ وكهلت وهرمت في لحظة واحدة. العالم كلّه تحت حذائي، لكّني لا أستطيع أن أقوم من فوقه وأذهب.



ماذا تفعلين الآن؟ نمتِ؟ هنيئاً، أتساءل كيف تقدرين؟ أحسدكِ. أحياناً يخيّل إليّ أنني لا أعرفكِ. أحياناً أكرهكِ. أحياناً كثيرة أحتقر نفسي لأنني أكلّمك عن نفسي. وأحياناً كثيرة أقول إنني أظلمك. وأحياناً كثيرة يتولاّني من جديد أملٌ أعمى بأن تستجيبي إليّ. وأحياناً آخذ هذا الأمل معي إلى الفراش، فجأةً، وقبل أن يفتح عينيه أغفو عليه...

هل فقد العالم عقله؟ ربّما.

أنا أيضاً أحبّ. لكن بشكلٍ آخر. إن جنوني نقيض جنونِ العالم.

وسأكون، في العالم المجنون، العاقل الوحيد.

* * *

أرجوكِ أن تغفري لي هذه الثرثرة. عذري الوحيد أنني صادق، وممزّق، وأرتاح إليكِ.

ماذا ستقولين الآن؟ لا أعرف، أخاف أن أفكر فيه. هذا هو اليوم الثالث الذي لا أستطيع فيه أن أجلس وإياك على انفراد(*). ماذا سيصير اليوم؟ هل سأظلّ مذبوحاً؟

آه! ليت لي عيوناً كثيرة لأوزّعها على أصدقائي!!!

٤ ـ ٥/ ١٢/ ٦٣

(*) "الجلوس على أنفراد" كان شبه متعذر في مقاهي المثقفين هذه، إذ ما يكاد يرانا من يعرفنا حتى ينضم إلى مائدتنا دونما استئذان كجزء من تقاليد تلك المقاهي في ستينات وسبعينات القرن المنصرم.




مكتبة
الفكر الجديد

فجر الخميس ٥ / ١٢ / ٦٣

نصف الحب إرادة، النصف الآخر استعداد وقابليات..

قررت أنني أريد أن أحبك.

لا أنوي تخوينك، لكن هذه هي الحقيقة!

أريد أن أحبك حتى النهاية.

تماماً أنت، أو النهاية.

وفي الحالتين أنت ضميري.



وأنتِ أيضاً، أتظنين أنكِ لستِ في حاجة إليّ ؟

(المعذرة نفد الورق. لم يعد عندي ورق طبيعي)

أنا لا أظن أنني وحدي بحاجة إليكِ. أنتِ أيضاً محتاجة إليّ.

فلذلك لكِ الشجاعة أن تعترفي بذلك. لقد كنتُ شجاعاً وقلتُ لكِ ما أنا فيه.

× ×

سخيف.

بلى. أقصد أنا سخيف. ولا شكّ أنكِ تفكرين: لماذا يصرّ كل هذا الإصرار على افتعال شيئاً غريب؟ والسخف أنني أنا المسؤول عن جعلكِ تفكرين بهذه الطريقة لإخفاقي في تقديم الأشياء بالصيغة المقنعة.

هكذا معظم الأحيان



أقصد هكذا معظم الأحيان عندما أكون صادقًا.

كنت في الماضي أستغرب ولم أفهم لماذا كان بروميثيوس يرفض طلب الرحمة. وكنت أغضب منه وأتهمه بالتمثيل وأخذ البوزات. ذلك أني لم أكن قد بلغت الدرجة الكافية من الشعور بالكرامة (هل تصدقين؟ هذه اللفظة أخجل بذكرها)

هل تعرفين لماذا أنا اليوم أرفض أن أطلب الرحمة؟ أو الطيبة، مثلًا، منك؟

لماذا؟ لأنني أخجل بعواطفي؟ لأنني تطرفت في العواطف قبل الأوان؟ لأنني متكبر؟ أحمق؟ متجبر؟ جبان؟

هناك أشخاص أحبهم للقتل، للجنون، ولكنهم لا يعرفون أنني أحبهم ولا أعرف أن أعبر لهم بل ولا أترك مجالًا للتعبير لهم. وأظل أندم على جهلهم هذا، ولكن لا أستطيع أن أعمل شيئًا. وأخيرًا أصحو فأجد أنني خسرتهم.

لماذا أنا هكذا؟



إنني أكره الندى. أكره المطر. أكره الشمس
والشلال والدم المتفجر. آه كم أكره البراكين
الثائرة!

أنا مقيد! وأرفض أن أفجّر عواطفي!
ومن أحبه لا يعرفها! ومن لا أحبه لا
يعرفها! لا أحد يعرفها! إنني لم أتعلم كلمة
واحدة أستطيع أن أقولها بملء أحشائي.
وأنتم، اليوم أيضاً، ستعودون وأبقى
وحيداً وحدي!...

× × ×

اذهبوا أنتم. اخرجوا من هنا، بسرعة. خذوا
الكأس معكم. كلهم في الخارج. لا أريد أن
أرى أحداً. اربطوا الكلب جيداً وأغلقوا الأبواب.
اتركوا المفاتيح أمامي.

× × ×

جنود والرهبانيات أوصلوني إلى بيتي. صعدت
الدرج والنار والفزع. الشيء الرائع الذي أريد



أن أنساه . الشيء البديع العظيم الكامل
الذي أريد أن أنساه ، لا أحد يساعدني على
فعله .

الحرية ليست الفعل . الحرية أن لا
نستطيع أن نفعل ما يجب أن نفعله .
أنا هو المجبور .

الشيء الرائع الذي أريد أن أنساه .
الشيء الرائع الذي أريد أن أنساه . الشيء الرائع
الذي أريد أن أنساه .
الشيء الذي لا أنساه .
الشيء الذي يجب يجب يجب الشيء
الذي أريد أن أنساه !!!

أيتها المرأة ، أنت التي تقرأ هذه
الأسطر ، أنتظر .
اسكبي على شعلي نارك . خذيني .



افتحي لي بابًا، افتحي لي قبرًا، افتحي لي فراغًا ما.

خذيني أصحابي، خذيني!

لم يعرف أحدٌ قبلي كُنهَ هذه اللحظة

خذيني!...

لا أريد أن ينقص مني شيءٌ. أريد أن آخذ معي صوفية الجسد والروح، وأقفل عليّ معركتي. اتركيني أكمل حياتي مثلك، اتركيني أصنع ما لا يصنعه غير يدي في هذا العالم.

أريد أن أنفض كل الوحشة

وأختفي.

أريد أن أختفي!

* * *

مسكينة هي النفس! لقد وضعته في قفص، ماتت النفس.



طبعاً ستشترين ثوباً آخر. ثم يموت.

هل تعرفين؟ مستقبلي في يديك: لقد مات الموت!

* * *

أين أنت الآن؟

العالم الحقير كبير وشاسع. التمرد واضح في قلبي. المدينة؟ المدينة لحظة ادبية حلوة الى حين. اما أنا فلم تعد تخرق رأسي لحظة واحدة. كأنني شبت ورافقت وكبلت وهرمت في لحظة واحدة. العالم كله تحت حذائي، لكنني لا استطيع ان اقطع من مقعدي واذهب.

ماذا تفعلين الآن؟ تمشين؟ تغنين؟ اتساءل كيف تقدرين. احسدك، احياناً يخيل الي انني لا احزنك. احياناً أكرهك. احياناً كثيرة احتقر نفسي لانني اكلمك عن نفسي.



وأحياناً كثيرة أقول ليتني أملك . وأحياناً كثيرة
تقبلينني من جديد أملاً ؟ أعني بأن تستجيبي
إليّ . وأحياناً آخذ هذا الأمل معي إلى الفراش ،
نائماً ، وقبل أن تغمض عينيّ أغفو عليه...

هل فقد العالم عقله ؟ ربما .
أنا أيضاً أحبك . لكن بشكلٍ آخر ،
إن جنوني نقيض جنون العالم .
وسأكون ، في العالم المجنون ، العاقل
الوحيد .

x x x

أرجوكِ أن تغفري لي هذه الثرثرة ، عذري
الوحيد أنها صادقة ، ومحرقة ، وأنها إليكِ .
ماذا ستفعلين الآن ؟ لا أعرف . أخاف
أن أفكر فيه . هذا هو العمر الثالث الذي لا
أستطيع فيه أن أجلس وإياك على انفراد . ماذا سيكون
العمر ؟ هل نحفظ عدوها ؟
آه ! ليت لي عيوناً كثيرة لأوزعها على
أصدقائي !!!

٤-٥/١٢/٦٣

لو صاغ الإنسان أفكاره تساؤلات فماذا يطلع؟

مثلاً:

هل ما شعر به هو حبّ أم أنّه انجذاب مؤقت؟

هل هو حقيقيّ؟ ومن يقيس الحقيقي؟

هل هو من استفزاز الفضول؟ هل هو من تحدّي المجهول؟ هل تحدوه مجرّد الرغبة في مغامرة؟

لماذا هي لا سواها؟ هل في اختيارها هي بالذات تقصُّد أم مجرّد صدفة؟

وما الفرق بين الأول والثانية؟ المهمّ هو "كيف" أم الشعور بذاته؟

ألا أعتقد أنّني أبالغ بإعطاء مشاعري أهميّة زائفة؟

ألا أعتقد أنّني تسرّعت في عرض نفسي حتى ظنّت هي - خطأً - أنني من السهولة بحيث كنت لأعرض نفسي على أيّة امرأة كانت؟

ألا أعتقد أنها استسهلتني كثيراً؟

ألا أعتقد أنني لاحقتُ فكرةً ربّما لم تكن تخطر في بالها هي بالمرّة؟

ألا أعتقد أنّني ارتكبتَ للمرة الأولى في حياتي حماقةً



ضخمة تهتزّ لها ضحكاً الأمّة العربيّة من المحيط إلى الخليج رغم أنها تخجل من الضحك؟

ألا أعتقد أنني، في هَرَبي من أعداء وأحبّاء وأشياء كثيرة، صادفتُ امرأةً هي أيضاً هاربة وتريد أن تظل هاربة من أعداء وأحبّاء وأشياء كثيرة؟ وأنها لا تريد أن تتوقّف؟ وأنها لا تريد أن تُخدَع؟ وأنها لا تريد أن تُسْتَصْغَر؟ وأنها لا تريد؟

لماذا لا تريد؟ وهل في الحياة أجمل من الحبّ؟ ألم أتعلّم أنا، مثلاً، ذلك على حسابي؟ ألم تتعلّمه هي؟ بلى؟ لماذا إذنْ لا تريد؟

لماذا لا تحبّ أيّ شخص أيّ شخص أيّ شخص لماذا لا تحب أيّ شخص؟

هل هي ممنوعة إلى هذا الحدّ؟ ألا تكون محقّة وأنا منافقاً؟ ألا تكون هي في ذروة الإخلاص وفي منتهى الأصالة؟ ألا تكون هي في ذروة القداسة؟ لكن الحب؟ الحب عار؟ سقوط؟ انخداع؟

أظنّ أنني أحبّها؟ ربّما؟ أليس المؤكّد على كلّ حال أنني أحبّ أن أحبّها؟ أليس الأكثر تأكّداً أنني أحبّ أن تحبّني؟

تجليط؟ تمثيل؟

لو أراد الإنسان أن يصوغ أفكاره بشكل جوابيّ فماذا يقول؟

مثلاً:

كلّا ليس تجليطاً ولا تمثيلاً.

هذه المرأة يجب أن تُحبّ. أن تحبّ شخصاً كائناً من كان. هذه المرأة تُحَبّ. هذه المرأة؟



غادة السمّان.

لكن هذا ليس اسمها. إنّها لم تُسمَّ. لا إسم لها. اسمُها في رياح قَدَرٍ ترفضُهُ، ترفُضُه، لكنّها ستقبله.

ستقبله؟ نعم.

إذا أراد الإنسان أن يصوغ أفكاره بشكل افتراضات فماذا يقول؟

مثلاً:

لو وُجد رجل وامرأة أحدهما بحاجة إلى الآخر أو كلاهما بحاجة إلى بعضهما البعض، لأن بإمكان كلّ منهما أن يعطي الآخر ما هو بحاجةٍ إليه، فهل يبقى هناك ما يعترض نشوء علاقة حبّ بينهما؟

وعلى افتراض وردت فكرة علاقة الحبّ، فهل ما يُشْتَرَط لإقامتها؟ أيّ شروط؟ من أيّ نوع؟

إذا أراد الإنسان أن يصوغ أفكاره بشكل رجاء فماذا يقول؟

مثلاً:

أن يكون قد توصّل إلى إبلاغ شيء ولو قليل من الأفكار التي تراوده، وأن يكون قد مهّد.

لكن لو أراد الإنسان أن يصوغ أفكاره بشكل مختصر يتضمن كل الحقيقة لقال، مثلاً:

أحبّيني؟

لا. بل لقال: دعيني أمتلئ بكِ وأملأُكِ




مكتبة
الفكر الجديد

لو صادف الإنسان أفكاره تساؤلات فماذا يفعل؟

فيفكر!

هل ما أشعر به هو حب أم أنه انجذاب مؤقت؟

هل هو حقيقيا؟ ومن يعيش الحقيقي؟

هل هو من استفزاز الفضول؟ هل هو من تحدي المجهول؟ هل نعده مجرد الرغبة في مغامرة؟

لماذا هي لا سواها؟ هل هي اختياري هي بالذات بقصد أم مجرد صدفة؟

وما الفرق بين الأولى والثانية؟ المهم هو كيف، أم الشعور بذاته؟

ألا أعتقد أنني أبالغ بإعطاء مشاعري أحجامها زائفة؟

ألا أعتقد أنني تسرعت في مرضي نفسي



هل ظننت فيّ - خطأ - أنني من السهولة بحيث
كنت لا أفرض نفسي على أية امرأة كانت ؟

ألا أعتقد أنك استسهلتني كثيراً ؟

ألا أعتقد أنني لامست فكرة ربما لم
تكن تخطر ببالك في المرة ؟

ألا أعتقد أنني ارتكبت للمرة الأولى في حياتي
مغامرة صغيرة تشبه كل أشكال الأزمة العربية من المحيط
إلى الخليج رغم أنك تخجل من الشكل ؟

ألا أعتقد أنني ، في تجربتي من أعداء
وأحباء وأشياء كثيرة ، صادفت امرأة في أعماق
حاجاتي وتريد أن تظل خارجة من أعداء وأحباء وأشياء
كثيرة ؟ وأنك لا تريد أن تتوقف ؟ وأنك لا تريد
أن تتقدم ؟ وأنك لا تريد أن تستشعر ؟ وأنك
لا تريد ؟

لماذا لا تريد ؟ وهل في الحياة أجمل من



الحب ؟ ألم أتعلم أنا ، مثلاً ، ذلك على حسابي ؟ ألم
تتعلمه أنت ؟ بلى ، لماذا إذن لا تريد ؟

لماذا لا تحب أي شيء أي شيء أي
شيء لماذا لا تحب أي شيء ؟

هل أنت ممنوعة إلى هذا الحد ؟ ألا تكونين
مخيفة وإنما منافقة ؟ ألا تكونين أنت في ذروة الأفلاطونية
ومن منتهى الأصالة ؟ ألا تكونين أنت في ذروة القداسة
لكن الحب ، الحب عار ؟ سقوط ؟ انخداع ؟
أظن أنني أحببت ؟ ربما ؟ أليس المؤكد
على كل حال أنني أحب أو أحببت ؟ أليس الأكثر
تأكيداً أنني أحب أو تحبني ؟
تخليط ؟ تضليل ؟

لا أريد الإنسان أن يلغي أفكاره بشكل
عدائي فلماذا يقول ؟



مثال :

كلا ليس تخطيطاً ولا تمثيلاً.

هذه المرأة يجب أن تُحب، أن تحب شخصاً

كأننا من كان، هذه المرأة تُحب، هذه المرأة؟

نادرة السلطان.

لكن هذا ليس اسماً. إنها لم تُسَم

لا اسم لها. اسمها ما يزال قدري ترفضه

ترفضه، لكنها ستقبله.

ستقبله؟ نعم.

إذا أراد الإنسان أن يلغي أفكاره بشكل

افتراضات فماذا تقول؟

مثلاً،

لو وجد رجل وامرأة أحدهما بحاجة إلى

الآخر أو كلاهما بحاجة إلى بعضهما البعض، ولو بإمكانه كل

منهما أن يعطي الآخر ما هو بحاجة إليه، فهل يتعين



هناك ما يفرضنا نسق علاقة حب بينهما !

وبما افترضنا وجود فكرة علاقة الحب ، فهل

ما يشترط لإقامتها ؟ أي شروط ! من أي نوع ؟

اذا اراد الإنسان أن يطوع أفكاره بشكل

رهان ، فماذا تقول ؟

قيل :

أن يكون قد توصل الى إبلاغ شيء ولو

قليل من الأفكار التي تراوده ، فإنه يكون قد تمهد

لكن لو أراد الإنسان أن يطوع أفكاره

بشكل مختصر يتلاءم كل الحقيقة لقال ، مثلاً :

أحبيني ؟

لا . ما كان ليقول : دعيني أفكر بك




مكتبة
الفكر الجديد

مرّ النهار؟ إنّما العبرة في اللّيل. لكن الحقيقة أنني طمّاع، فلو كان اللّيل قد مرّ لكُنتُ قلت: مرّ اللّيل؟ إنما العبرة في النهار. وإذا كان من حقيقةٍ أُخرى (والحقائقُ تُختَرَع لتغذية الحديث) فهي أن لا ليل هناك ولا نهار وإنما وقتٌ للمجابهة ووقتٌ للهرب. والمرتاحون هم الذين نظّموا هذه المناصفة وجعلوا التعاقُبَ مرتّباً. بالنسبة لي، مثلاً، اختلط وقت المجابهة بوقت الهرب فصرتُ أجابِهُ وأهرب في وقتٍ واحد وتفرّع هذا الوقت نفسه إلى أجزاء كلّ جزء منها يتنازعه الهرب والمجابهة الخ... وليست صحيحاً أنني أخاف اللّيل أكثر من النهار وإنّما أنا أخاف أن أكون وحدي، معزولاً عمّا يهمّني، عمّا أهجس به وأحبّه ولا أصدّقه، مقطوعاً عن العالم الذي أتّهمه بأنّه يخدعني دائماً وخصوصاً في غيابي. فكم أشتهي أن أُباغت العالم وأفضحه وهو يخدعني، هذا الذي يدّعي الإخلاص لي، ويدّعي العذاب من أجلي، ويدّعي العزلة والوحشة والوفاء!

أهلاً بكِ **يا غادة**. الساعة الآن شيءٌ ما بعد نصف اللّيل، لعلّك نائمة.

ترى ماذا يشغل فكرك الآخر؟ أقصد فكرك المخفيّ وراء الوجه الآخر للقمر؟ كم أحبّ أن أعرف ماذا دار وماذا يدور في رأسك! وكم تخطئين في وصف هذه الرغبة بالفضول! لأنها



ليست أكثر من شهوة عارمة عظيمة إلى تصفيتكِ من غربتكِ وضمّك إلى قلبي وأفكاري وحياتي. أريد، ولا شيء أكثر الآن، أن أتحد بكِ.

هل أمضيتِ نهاراً حلواً أمس؟ وسهرة السبت؟ والدروس، كيف الدروس؟ والكتابة؟ ماذا كتبتِ هذه الأيام؟ لم تُقرئيني شيئاً بعد. كأنك تعتبرين ذلك مُسْتَهْلَكاً سَلَفاً، أو سراً بينك وبين نفسك وحدها، أو فضيحةً للكتمان.

الكتمان! هذه هي الكلمة. أريد أن أمزّق الكتمان عنكِ. لماذا يخيّل إليّ أنّك تخافين مني؟ أقصد تخافين منّي خوف عَدَم الثقة لا خوف الجبن. لماذا؟ هل تعتقدين حقاً أنّني شرّير ومغامر وممثّل أو طالب قصّة عابرة؟

هل ضايقك هذا الكلام؟ يجب أن لا تتضايقي. لا أعرف شخصاً سواكِ أتحدّث إليه. صرتِ كلّ شيء. أعرفُكِ وتعرفينني منذ البداية. أنتِ أُختي وحبيبتي. بلى بلى. محوتُ عن شفتيكِ جلّاد الابتسامة الهازئة ونفختُ فيكِ إيماني بكِ. ولا أريد أن أعترف بشيء آخر عدا أنّكِ هنا، وأنني هنا، وأننا سنبقى معاً، وأنّكِ ستبكين وتضحكين من قلبكِ وقلبي، وأن مجهولك أضاء في خلايا كياني وانتشر كماء العشق في أحلامي وبدّد جسورك وجسوري وصرنا نهراً واحداً. ولن أدعكِ تتراجعين. ولن أدعك تتركينني أتراجع. لن أدعك تقترفين الجريمة...

... ثم، لماذا يخيّل إليّ أنني، في كل ما أقوله لكِ، أصرخ في وادٍ؟ وأن حواري معك حوار طرشان؟ وأنك لا



تقدّرين أهمّيتك بالنسبة لي؟

هل صحيح هذا؟ يا إلهي! ماذا أفعل!. . .

* * *

صدري امتلأ بالدخان. أشعر بحاجة لا توصَف، لا يصدّقها العقل، إليكِ. أشعر بجوعٍ إلى صدرك. بنهم إلى وجهك ويديكِ ودفئك وفمك وعنقك، إلى عينيك. بَنَهم إلَيكِ. أشعر بجوعٍ وحشيّ إلى أخذك. إلى احتضانك واعتصارك وإعطائك كلّ ما فيّ من حاجةٍ إلى أخذ الرعشة الإلهيّة وإعطائها. كياني كلّه تحفّز إليكِ. إنّكِ تُخيّلين على أفكاري وتلتهمينني. هل أكمل **يا غادة**؟ هل أكمل محاولة وصف ما بي؟ أم أنّك لا تبالين؟ أم أنّك ستقولين لي إنّك معتادة على هذا الهذيان؟ وإنه هذيان مؤقت؟ وإن الصحو الذي يعقبه يفضحه؟ أم أنّك ستظلّين تتسلحين بالهدوء والحكمة والصبر والتصبّر والانتظار والدرس؟ ألا يكفيك؟ ألا ترين؟ ألا ترين؟ هل صُنعت عيناكِ الرائعتان لتكونا رائعتين فقط لمن ينظر إليهما؟

* * *

لا شيء يبرّر عذابي الآن إلاّ صدقي، إذا سلّمنا أن الصدق لا بدّ أن يكون دائماً شهيداً.

أنتِ تعتقدين أن التجارب التي مرّت بكِ تضطركِ إلى التزام موقف الحَذَر الشديد والحيطة والتنبّه والشكّ والرفض والسخرية الذي التزمتهِ معي حتّى الآن. أنا أفهم تفكيرك جيّداً. .

ولماذا، لماذا يخيل إليّ أنك **تعرفين** أنني صادق، ولكنك



ترفضين أن تنساقي مع هذه المعرفة؟ ولماذا لماذا قلتِ لي ذلك المساء إنّنا لن نلتقي أبداً ولن نفترق أبداً؟ هل تدركين معنى هذا الجزم؟ هل تدركين مدى تأثيره عليّ لو تيقّنتُ نهائياً أنّه صحيح؟ ألا تعلمين أنني... ألا تعلمين أنّكِ، بهذا الحكم الذي يعني أننا كالخطّين المتوازيين كلّ منّا بجانب الآخر وليس لواحدٍ منّا أن يصبّ في الآخر ـ أنك بهذا الحكم تصدرين بحقّي حكم الإعدام؟ ألا تعلمين أنني شحنتُ كلّ قواي من أجل هذا **اللقاء**؟ وأن عدم تحقّقه سيقتلني؟ أم أنّك واثقة من أنه لن يتمّ؟ لا يا غادة! لستِ واثقة. كنتِ تتكلمين بمعاني الماضي وأنا لستُ ماضيكِ. إنّني أردّ ماضيكِ على أعقابه. أنا لستُ مثل أحد. لا شيء أفعله مثلما يفعلونه. لا أحد يحبّ مثلي. لا أحد يحبّ بقوّة ما أحبّ، بجمال ما أُحبّ، بروعة حبّي وعظمته ونقائه. لم يعد غيري من يحبّ في العالم. كلّ ما في هذا العصر من رجالٍ، آلاتٌ وجلودٌ وأشباه بهائم. وقد يعرفون كلّ شيء، إلاّ الحبّ. وقد يفهمون كل شيء، إلاّ المرأة. وقد يميتهم ويحييهم أيّ شيء، إلاّ الحبّ وامرأة. لستّ مثل أحد. أنّني آتٍ من حيث لا وقت إلاّ للحبّ، وها أنا أعيش عصري باحتقاره وضربه على نافوخه، فهو عصرُ المعلبّات والخدع الرهيبة، إنّه عصرُ زوال الحبّ. أعيشه؟ بل أعلّقه على الحائط. إنه نملةٌ شاسعة أدوسها كل لحظة لأقطع منها جزءاً. إنّني أجملُ وأفضلُ وأعلى من عصري. إنّ عصري هو عاري. إنّه عاهتي ولحمي الميت، وأنا أخجل به وأكرهه وأُفلّت عليه أفكاري

القاتلة. وأكثر ما يقتل هذا العصر السافل أنني أَعرف كيف أُحبّ، وأنّني أُحبّ، وأنني لا أكفّ عن الحبّ، وأنني لن أكفّ عن الحبّ. إنني أعظم مجرم معاصر. صدّقيني. ولا أعرف كيف سيكون أو هل سيكون اَلعصر المقبل؟ غير أنني لا أرى سبباً واحداً للتفاؤل. والواقع أن ذلك لا يهمّني. إنني أحبّ لا نكايةً بالعصر وإنّما لأنني عاجزٌ عن العكس. إنّني أتحمّل حبّي.




مكتبة
الفكر الجديد

من النكد؟ إنما العبرة في الليل. لكن الحقيقة أنني لم أعي

طول نهار الليل نحو شر لكنك قلت: من الليل! إنما العبرة في النكد...

وإذا كان من حقيقة أخرى (والحقائق تخترع لتغذية الحديث)

فهي أن لا ليل هناك بلا نكد، وإنما وقت للكآبة ووقت للسهر

والمزاجيون هم الذين نظموا هذه الملاطفة وجعلوا التعاقب مرتبا.

بالنسبة لي، مثلا، اختلط وقت الكآبة بوقت السهر فصرت

أطرب وأكتئب في وقت واحد وتفرع هذا الوقت نفسه إلى أفراد

كل فرد منك يتنازعه السهر والكآبة الخ... وليس صحيحا أنني أخاف

الليل أكثر من النكد، وإنما أنا أخاف أن أموت وحدي، معزولا

عما يؤنسني، عما أحب به وأحبه ولا أصدقه، مقطوعا عن العالم

الذي أشهد أنه يحدث دائما مخلوطا في نهاري، فلم أشتهي

أن أطرد العالم وأقطعه وهو يحدث لي، هذا الذي يدعي

الإخلاص لي، ويدعي العذاب من أجلي، ويدعي العزلة والوحشة

والوفاء!

أحلف بكم يا قارئ، الساعة الآن ثمانية ما بعد

نصف الليل. لعلك نائمة.

ترى ماذا يشغل فكرك الآن؟ أحاول فكرك المختبئ وراء الوجه الآخر للقمر؟ كم أحب أن أعرف ماذا دار وماذا يدور في رأسك! وكم تخطئين في وصف هذه الرغبة بالفضول! إنها ليست أكثر من شهوة عارمة عظيمة إلى تلمسك من قربك وضمك إلى قلبي وأفكاري وحياتي. أريد، يا حبيبتي أكثر الأشياء، أن أرتبط بك.

هل أمضيت نهارا حلوا أمس؟ وسهرة السبت؟ والمدرسة، كيف الدروس؟ والطلاب؟ ماذا كتبت هذه الأيام؟ لم تقرئيني شيئا بعد. كأنك تعتبرين ذلك مستهلكا سلفا، أو سرا بينك وبين نفسك وحدها، أو ضحية للكلمات.

الكلمات! هذه هي المشكلة. أريد أن أمزق الكلمات معك. لماذا يخيل إلي أنك تخافين مني؟ أكاد تخافين مني خوفا يحمل الثقة لا خوف الجبن. لماذا؟ هل تعتقدين حقا أنني شرير ومغامر ومثل أو طالب لذة عابرة؟



هل ضايقك هذا الكلام؟ يجب أن لا تتضايقي. لا أعرف

شخصاً سواك، أتحدث إليه، عن كل شيء. أعرفك وتعرفينني

منذ البداية. أنتِ أختي وحبيبتي.. بل بل، عرفت من شفتيك

هذه الابتسامة البريئة ونطقت بكل إيماني بك.. ولا

أريد أن أعترف بشيء آخر هذا أنكِ هنا، وأنني هنا، وإننا نلتقي

معاً، وأنكِ تشعرين وتلمسين ما يطلبك وقلبي، ولأن جسدكِ

أطلب في خلايا كياني وانتشر كماء العشق في أحلامي

ولابد جسدكِ وجسدي يصيران نهراً واحداً. ولن أدعكِ ترحلين.

ولن أدعكِ تتركينني أتراجع. لن أدعكِ تقترفين الجريمة...

... ثم، لماذا تميل إليَّ أنثى، مع كل ما أقوله لكِ، أصرخ

بكِ وأنادي؟ وأن [illegible] معكِ حوار طريقك؟ وأنكِ لا تقدرين

أحاسيسك بالنسيان؟

هل صحيح هذا؟ يا إلهي! لماذا أفعل!...

***

صدري احتلال الدخان. أشعر بحاجة لا توصف، لا يطاق

القبل، البكاء. أشعر بجوعي إلى صدرك. بنهم إلى وجهك



ويديك، وذقنك، وفمك، وعنقك، إلى عينيك، تبتسم
إليك. أشعر بجوع ووحشة إلى أخذك، إلى احتضانك
وانتظارك وانتظارك كي ما تجيئين من حاجة، إلى أخذ الرعشة
الوحشية وإطلاقها. كياني كله تحفز إليك، إنك تجلسين تلك
الكلمات وتلمسينني. هل أكمل يا غادة؟ هل أكمل عادة وصف
ما بي؟ أم أنك لا تبالين؟ أم أنك ستقولين لي إنك معتادة
على هذا الهذيان؟ وأنه جنون مؤقت؟ وأن الحلم الذي يعقبه
نهايته؟ أم أنك ستطالبين تسليحي بالهدوء والحكمة والصبر والتصبر
والانتظار والدرس؟ ألا يكفيك؟ ألا تريدين؟ ألا تريدين؟ هل
صنعت عيناك الرائعتان شكلاً رائعاً فقط لمن ينظر إليها؟

* * *

لا شيء يبرر عذاب الحب إلا صدقه، إذا سلمنا أن
الصدق لا بد أن يكون دائماً شهيداً.

أنت تعتقدين أن التجارب التي مرت بك تضطرك إلى
التزام موقف الحذر الشديد والريبة والتنبه والشك والرفض
والسخرية التي التزمتها معي في الحب. أنا أفهم تفكيرك جيداً.



ولماذا ، لماذا تميلين إليّ . إنك تعرفين أنني صادق ، ولماذا !

ترفضين أن تنساقي معي هذه المعركة ؟ ولماذا لماذا لماذا طلبت لي

ذلك المساء إننا لن نلتقي أبداً ولن نفترق أبداً ؟ هل تدركين

معنى هذا الكلام ؟ هل تدركين مدى تأثيره عليّ لو تيقنتُ تماماً

أنه صحيح ؟ ألا تعلمين أنني .. ألا تعلمين أنكِ ، بهذا الكلام

الذي يعني أننا كالخطين المتوازيين كل منا بجانب الآخر وليس

لواحدٍ منا أن يلتقي في الآخر _ أنكِ بهذا الكلام تصدرين بحقي حكم

الإعدام ؟ ألا تعلمين أنني سأشنق كل أعدائي من أجل هذا اللقاء ؟

وأن عدم تحققه سيقتلني ؟ أم أنكِ واثقة من أنه لن يتم ؟

لا يا نادرة ! لستِ واثقة . كنتِ تكذبين بمعاني الكلام

وأنا لستُ ماضيكِ . إنني أرد ماضيكِ على أعقابه . أنا

لستُ مثل أحد . لا شيء أفعله مثلما يفعلونه . لا أحد يحب

مثلي ، لا أحد يحب نهود ما أحب ، بجمال ما أحب ، بروحه

في وطنيته ونقائه . لم يعد غيري من يحب في العالم .

كل ما في هذا العصر من رجال آلات وجلود وأشباه بهائم .



وقد يعرفون كل شيء إلا الحب. وقد يفهمون كل شيء إلا
المرأة. وقد يعيشون ويموتون أي شيء إلا الحب والمرأة. لست
مثل أحد. إنني آتٍ من حيث لا وقت إلا للحب، ومن أنا
أنتمي لعصري باحتقاره وضربه على أنفه، فهو عصر الصفقات
والكذب الرخيص، إنه عصر زوال الحب. أعيشه؟ بل
أطلقه على الحائط. إنه نملة سوداء أدوسها كل لحظة
لا أشعر منه جزءاً. إنني أجمل وأفضل وأعلى من عصري،
إنه عصري ضد عاري، إنه عاجز عن حمل الحب، وأنا أحمل
به وأكرهه وأطلقت عليه أظافري القاتلة. وأكثر ما يقتل هذا
العصر السافل أنني أعرف كيف أحب، وأنني أحب، وأنني
لا أتوقف عن الحب، وأنني لن أتوقف عن الحب. إنني أعظم
مجرم معاصر. صدقيني، ولا أعرف كيف سيكون أو هل سيكون
العصر المقبل؟ غير أنني لا أرى سبباً واحداً للتفاؤل. والواقع
أن ذلك لا يهمني. إنني أحب لا نكاية بالعصر وإنما لأنني
عاجز عن العكس. إنني أحمل حبي.



ليل الثلاثاء ـ الأربعاء

أعرف الآن، بشبه تأكيد، أن خللاً سيطرأ على الموعد.

لا أعرف، بالضبط، كيف ولا، بالضبط، لماذا.

أعرف، فقط.

والاعتذار عن المجيء محتمل أيضاً، لكنني أستبعده دون صعوبة. أعتقد أن الخلل سيكون أشد إيلاماً.

كيف الحال؟ اليوم، على كلّ حال، يتبين إذا كان معي حقّ أو إذا كُنتُ مخطئاً.

لم يخطئ حدسي مرة واحدة في **حالاتي السوداء**. إنما يخطئ، قليلاً، في الظروف العاديّة.

* * *

اكتشفتُ أمس أن رقم هاتفك في دمشق مسجّل من زمان في مفكّرتي.

* * *

ماذا تفعلين يا عزيزتي؟

ماذا تفعلين؟ ماذا تفعلين؟

أقصد بكل معنى الكلمة وكل أبعادها: **ماذا تفعلين؟**

هل تدرين؟



لا أظنّ. أظنّ أنك تظنين أنني ـ عفواً أنّك تفعلين خلافاً كما تفعله سائر النساء وأنّك محقّة وأنك حرّة.

لستِ حرّة ولستِ مُحقّة.

وأنتِ الآن، بقليل أو كثير، تتصرفين، شئتِ أم أبيتِ، قصدتِ ذلك أو لم تقصدي، مثل جميع النساء.

لستِ حرّة ولستِ مُحقّة.

ربّما أنتِ مجرمة.

لكن هذا أيضاً لا يميّزك عن أحد وإنما بالعكس. هم كلّهم مجرمون.

* * *

هل يصدق حدسي؟

أتمنّى أن يكذب.

وعلى كلّ حال، بسيطة. أظنّ أنّني سأبقى وحدي.

وإنّني أكره ذلك.



ليل الثلاثاء - الأربعاء

أعرف أنك، بشيء من التأكيد، أن غيابك سيجرح كل الصدمة

لا أعرف، أنا غاضب، كيف ولماذا غاضب، لماذا.

أعرف: غلطة.

والاعتذار عن الحب مستحيل أيضاً، لكنني أستطيع دون جهد. أعتقد أن الخلل سيكون أشد إيلاماً.

كيف الحال؟ اليوم، على كل حال، سيعبر إذا جاءت في حقك أو إذا كنت مخطئاً.

لم يحدث حدس مرة واحدة في حالاتي السوداء أنه يصدق، فلماذا، في الظروف العادية.

* * *

اكتشفت أمس أن رقم هاتفك في دمشق مسجل من زمان في مفكرتي.

* * *

ماذا تفعلين يا عزيزتي؟

ماذا تفعلين؟ ماذا تفعلين؟

أقصد بكل معنى الكلمة ومن أعماقي: ماذا تفعلين؟



هل تدرين ؟

لا أظنك . أظن أنك تحسبين أنني - مثلا

أنك تعاملين أهلها كما تفعل سائر النساء وأنك

تحبين وأنك حرة .

لست حرة ولست محقة .

أنت الشيء ، قليل أو كثير ، تنظرين بين الشتات

أم أسبب ، حادثة ذلك أو لم تعلمي ، مثل

بعض النساء .

لست حرة ولست محقة

ربما أنت محبوبة .

لكن هذا أيضا لا يميزك عن أحد وإنما

بالعكس . هم كلهم محبوبون .

* * *

هل تصدقين حديثي ؟

أتمنى أن يكذب

وعلى كل حال بسيطة . أظن أنني

سأبقى وحدي .

وأنني أكره ذلك .



أنتظر.

لم أتزوّج بعد. "أنتظر"، فعلٌ يَذْكُرني دائماً، ويذكّرني بإحدى أجمل وأصدق قصائدي التي كتبتها قبل تسع سنين. يومذاك أيضاً كنتُ أنتظر، وكنتُ لم أتزوّج بعد.

لم أتزوّج بعد.

أُحاول أن أتّحد بأغنية، أن أتّحد بصوت، بعينين، أن أنسكب من حنيني على شيءٍ حسّي يستولي عليّ بسعادةٍ وملء فأشغله عن كل ما عداي ويشغلني عن كل ما عداه. أحاول أن أتزوّج. أحاول أن أفنى في. أن أدخل في. أن أصير الواحد والكلّ. لم أتزوّج بعد.

كلكم ضدّي: قرّاء وأدباء. أجانب وأقارب وغرباء. أصدقاء ونساء. لا أحد معي. أكثر امرأة أحببتُها (لا أعرف إلاّ عندما أذكرها أنني **لا أستطيع** أن أبكي!) أكثر امرأة أحببتها كانت أكثر امرأةٍ خسرتُها. هذه في معادَلتي. حسابي ناجحٌ في الفشل. عقلي راجحٌ في الجنون والخراب والموت. لكن لا أعرف في العالم أعظم من شجاعتي.

إن ما أراه ـ ماذا أقول؟ إن ما أشمّه وأعيشه وأرافقه، بل إنّ ما أتنفّسه وأحبل به وأجاريه وأرفضه وأواجهه وألعنه **ويقهرني** من قذارات هذه الحياة ودناءة النفس البشريّة وخبثها وحقارتها



وبرصائيّتها ونفاقها وتمثيلها وأفعوانيّتها وبلاهتها وبشاعتها وانخداعها وخداعها وَقَرفها الرهيب وحبال خسّتها اللامتناهية التركيب والتعقيد والطول والشسوع، إن ما أُعانيه كلّ لحظة، كلّ جزء من اللحظة معاناةٌ لا توصَف من هذا الواقع الذي لم أبلغ يوماً في تصوّراتي إياه ما بلغته في معاركتي له خلال سنة، إن ما أعانيه يا أنتِ، أيّتها القابعة كالمارد في علبة الأقزام، يكفي لشلّ أقدر يدٍ وتحطيم أعظم صخرةٍ وخَنْق أغلظ رئتين على الإطلاق. ولا أعرف غير الأعجوبة تفسيراً لبقائي حيّاً. أو لعلّني أعيش فترة وقف التنفيذ. المرحليّة المؤقتة.

أَنتظر.

لا المطر ولا الصباح ولا الأصوات. لا الدفء ولا الدخان. أَنتظرُ فقط.

أنتظركِ.

لو عَرَفْتِني قبل الآن لاستغربتِ أن أكون ما زلتُ أرجو خيراً من الانتظار، ولقلتِ: ما بال النازع آماله يتراجع؟ لكنّك لم تعرفيني قبل الآن. ولعل هذا لحسن الحظ ولسوئه معاً. لحسن الحظ؟ نعم. لأن هذا "الجهل" كان هو المسافة التي حفظتكِ، بالنسبة لي، أملاً ينبجس في أحلك الليالي، وبابَ خلاصٍ محتمل حين لم يعد من بابٍ لأيّ خلاص. لسوء الحظّ؟ نعم. لأنّك لو عرفتني قبل الآن لعرفتِ، وحدك، ومن زمان، أنّني أجيء الآن إليكِ لأنني بحاجةٍ إليكِ لا لأنني بحاجةٍ إلى سحابةٍ أنسجُها على حسابك، ولعرفتِ أنّني أجيء إليكِ ناضجاً، يانعاً،

من فرط نضجي بالآلام والتعاسة أكاد أكون ناضجاً، أيضاً، للموت.

أَنتظر.

أَنتظر أن ينفرج فمُك، أيّتها المحجوبة، عمّا أعرفُ أنه يحرق أحشاءك حيث يختبئ كالحب وكالكراهية معاً. كلا شيء ثقيلٍ باهظٍ ككلّ شيء. أنتظر أن تجيئي إليّ وقد سَقَطَتْ أوراق الخريف عن باب شفتيكِ، ناضجةً كالنار، يانعةً أنتِ أيضاً بتفاهة هذا العالم وحقارته ونبل أوهامه المبدَّدة.

أنتظر أن تجيئيني أنتِ أيضاً، وتقولي لي: أنا أيضاً لم أتزوّج بعد... وأن تفني فيّ.

أنتظر أن تخرجي من بين أعدائي، أن تغادري منطقة الحياد، أن تتركي **أرض الحذَر والماضي** وتصبّي فيّ كنهرٍ أصبح يرفض، بكراهيةٍ وحبّ، أن يظلّ محقوناً. أصبح يريد، بكل ما فيه من كراهيةٍ وحبّ، **أن لا يستسلم لخَطَر الجفاف والركود والعقم**.

نعم أنتظر. ويبدو لي أنني طويلاً انتظرتُ وأنني لم أعد أقوى على الانتظار.

وبعد الانتظار ينتظرني شيءٌ واحد هو الشيء الوحيد الذي يعقب الأمل الأخير. وحين أقول ذلك أقوله بكل هدوء، بمنتهى الاحتقار له، بكل بساطة وخنوع. ينتظرني، إذا لم تمدي لي خشبةَ الإنقاذ، الهاوية.

الهاوية؟ كل ما أتمنّاه أن تتخذ شكل الموت. لكنني أخشى



كثيراً ـ وتأكّدي أن ذلك يرعبني ـ أخشى أن تتّخذ الهاوية شكل الجنون لا الموت. إن هذا أسوأ ما يمكن أن يحلّ بي. آه! كم أفضّل الموت! كم أشتهيه وأستسهله! كم أتمّنى لو تكون لي الشجاعة الكافية لأنتحر! لكنني اختبرتُ هذه الشجاعة مراراً كثيرة حتّى الآن ولم أنجح. ترى، أأنجح تحت تأثير الهرب من الجنون؟ أم يكون الجنون، بالذات، هو الوسيلة الفضلى للهرب من كلّ شيء؟

* * *

أيّتها **الغادة** أنتِ أنتِ أنتِ أنتِ.

هذه هي المسألة. أنتِ **الغاية**. لكنّك تظنين أنكِ الوسيلة. هذه هي المحرقة!...

* * *

كالبهيمة. إنني أعجزُ وأنظُر وأنزف الدم. إنني أشهَد أشهَد. إنني **يا غادة أفعَل** هذه اللغة التي أكتبها إليكِ. لستُ كاتباً الآن. لقد ماتت الكلمة في حلقي. كل شيء غَرِق وانطفأ. أرجوك **يا غادة**، أرجوكِ، أستحلفك بأحبّ شيء عندك، أستحلفك بأنبل ما فيك أن تصدّقيني. أرجوكِ.

وأرجوكِ **يا غادة**.

أرجوكِ أن تفتحي لي قلبك. أن تأتي إليّ.

أن تأخذيني أخيراً إليكِ.

لم أتزوّج بعد. لم تتزوجي بعد.

أرجوكِ **يا غادة** أن تأتي إليّ!!!



أنتظر..

لم أتزوج بعد.. أنتظر.. فهل يذكرني دائماً،
ويذكرني بإحدى أجمل وأحدث قصائدي التي كتبتها قبل تسع سنين.
بعنوان أيضاً كنت أنتظر، وكنت لم أتزوج بعد..

لم أتزوج بعد

أحاول أن أجد أغنية، أو أجد طفلاً، يعيدني
أو أتمسك بمن يحنيني على شيء، حتى يستولي على
سعادته وطاقته فأشغله عن كل ما عداي ويشغلني عن كل
ما عداه. أحاول أن أتزوج. أحاول أن أفنى في، أن
أدخل في. أن أصير الواحد والكل. لم أتزوج بعد.
كلكم ضدي: قراء وأعداء، أحباب وأقارب
وغرباء، أصدقاء ونساء، لا أحد معي. أكثر امرأة
أحببتها (لا أعرف لماذا عندما أذكرها أنني لا
أستطيع أن أبكي!) أكثر امرأة أحببتها أنت



أكثر امرأة خسرتك. هنا في معاركي. حسابي ناجح

في الفشل. مثلي راجح في الجنون والكذب والموت.

لكن لا أعرف في العالم أعظم من شجاعتي.

إنه ما أراه - ماذا أقول؟ إنه ما أشمه وأعيشه

وألمسه، بل إنه ما أتنفسه وأحيل به دواخلي وأرضه

وأواجهه وألعنه ويصيرني من مفردات هذه الحياة وبنائها

النفس البشرية وخبثها وحضارتها وبساطتها وتناقضها

وتحليلها وانفعالاتها وبلاهتها وبشاعتها وانتمائها وخداعها

وفرحها الرهيب وجمال خستها اللانهائية التركيب والتعقيد

والطول والشمس، إنه ما أعانيه كل لحظة، كل جزء من اللحظة

معاناة لا تعرفها من هذا الواقع الذي لم أبلغ يوماً حتى

صفاتي؛ إنه ما بلغته في معاركي له خلال سنتين، إنه ما

أعانيه يا امرأة، أنتِ الغائبة كالملاك في ملحمة الإقدام، بلغني

لتشعل أقدر يدي، وتعطيني أعظم الحركة، وتخفف أنفاس رغيد

على الإطلاق، ولا أعرف غير الرجولة تفسيراً لبقائي حيا. أو



لعلني أعيش فترة وقف التنفيذ المرحلية المؤقتة.

أنتظر...

لا المطر ولا الثلج ولا الأصوات. لا الدفء ولا الوحدة. أنتظر فقط.

أنتظرك.

لم تعرفيني قبل الآن لا تستغربي أن أكون مازلت أبعد فترة من الانتظار، ولكني: ما بال الذي آماله تتراجع؟ لأنك لم تعرفيني قبل الآن. ولعل هذا لحسن الحظ ولسوئه معا. لحسن الحظ؟ نعم، لأن هذا هو الجهل، هاك هو المسافة التي حفظتك، النسيان، أمل ينبت في أحلك الليالي وبات خلاصي متمثل فيك لم يعد من أن يأتي خلاص. لسوء الحظ؟ نعم، لأنك لو عرفتني قبل الآن لعرفت، وحدك، ومن بعدك، أنني أجيء الآن إليك لأنني بحاجة إليك، لا لأنني بحاجة إلى سحابة أنسج على منوالك، ولعرفت أنني أجيء إليك ناضجا، يانعا، من فرط نضجي بالآلام



والنعاس، أكاد أكون ناضجاً، أيضاً، للموت..

أنتظر...

أنتظر أن ينفرج فمك، أيتها المحبوبة، كما أعرف

أنه سوف أعشاك حيث ينشب كالحب والكراهية معاً.. كلا ستنتهي

قليل بالحظ لكل شيء. أنتظر أن تجيئي إليّ وقد سقطت أوراق

الخريف من باب شفتيك، ناضجة كالثمار، يانعة أنت أيضاً تتلاقفك

هذا العالم ونفاياته ونبل أوهامه المبتذلة.

أنتظر أن تجيئيني أنت أيضاً، وتقولي لي: أنا أيضاً

لم أتزوج بعد... وأن نفتح فمي.

أنتظر أن تخرجي من بين أحلامي، أن تغادري

منطقة الحياد، أن تتركي أرض القذر والماضي، وتأتي في

كلّني أصبح يرفض - بكراهية وحب - أن يظل محقوناً. أصبح

يريد، بكل ما فيه من كراهية وحب، أن لا يستسلم لخطر

الجفاف والركود والعفن.

نعم أنتظر. ويبدو لي أنني طويلاً انتظرت.



لأنني لم أعد أقوى على الانتظار.

وبعد الانتظار ينتظرني شيء واحد هو الشيء الوحيد الذي يغتصب الأمل الأخير، وحين أصل ذلك أصله بكل هدوء، بعيداً عن الانتظار له، بكل بساطة وخشوع، ينتظرني، إذا لم تهدني لك فشباك الأفكار السوداوية.

السوداوية، كل ما أخشاه أن تتخذ شكل الموت، لكنني أخشى كثيراً، فأكثر ما أخشاه أن يكون ذلك يريحني. أخشى أن تتخذ السوداوية شكل الجنون لا الموت.

إن هذا أسوأ ما يمكن أن يحل بي، آه! كم أفضل الموت! كم أشتهيه وأستسهله! كم أتمنى لو تكون لي الشجاعة الكافية لأنتحر! لكنني أخبرت هذه الشجاعة مراراً كثيرة حتى الآن ولم أنجح. ترى؟! أنجح حتى أتقي الهرب من الجنون؟ أم يكون الجنون، بالذات، هو الوسيلة الفضلى للهرب من كل شيء؟

xxx

أيتها الخالدة أنتِ، أنتِ، أنتِ، أنتِ، أنتِ،

هذه هي المسألة. أنتِ الحل، لكنك تنسين أنك الوسيلة. هذه هي المعضلة!..

xxx



كالبهيمة . إنني أعجز وأنظر وأنزف الدم . إنني استشهد

أستشهد . إنتشيا يا نادرة أفعل هذه اللحظة التي أتسلل إليك .

لست كالأشياء الأخرى . لقد ماتت الكلمة حتى حلقي . كل شيء

تمزق وانطفأ . أرجوك يا نادرة أرجوك أستحلفك بأحب شيء

عندك أستحلفك بأنبل ما فيك أن تتوقفي . أرجوك

وأرجوك يا نادرة

أرجوك أن تغفري لي طلبي . أن تأتي إلي

أن تغفري أخيراً إليك .

لم أتزوج بعد لم تتزوجي بعد .

أرجوك يا نادرة أن تأتي إلي !!!



شهادة لاحقة(*)

□ «بمزيد من الجرأة، بمزيد من اللوعة، بمزيد من الصدق، بمزيد من الغوص على الذات، تعود غادة السمّان كاتبة "**لا بحر في بيروت**" إلى قرّاء قصصها القصيرة بمجموعة جديدة عنوانها: "**رحيل المرفئ القديمة**"(**)، وبضع من قصص هذه المجموعة يستوحي هزيمة ١٩٦٧. وكلها، دون ريب، تضع القارئ في مناخ شديد الحرارة ومرّات ملتهب الحمّى.

بعد زواجها، قيل سوف تهجر التأليف. وكالعنقاء قامت من رمادها، وإذا بالزواج تجربة جديدة حوّلتها الكاتبة بموهبتها الأكيدة، إلى مركز إلهام إضافي.

غادة في كل ما تكتبه شاعرة... فهي حقاً شاعرة.

أنسي الحاج (ربيع ١٩٧٣)

(*) هذه الشهادة كتبها أنسي الحاج بعد عشرة أعوام من تاريخ رسائله إلى غادة.

(**) فازت المجموعة المذكورة بـ" جائزة الإبداع" من قبل جمعية أصدقاء الكتاب مناصفةً مع الشاعر يوسف الخال. والجائزة هي أرفع جائزة من رئيس الجمهورية، وكانت تقدمها يومذاك جمعية أصدقاء الكتاب.




مكتبة
الفكر الجديد

فهرس







□ غادة السمّان كانت دائماً الأديبة الشجاعة الأولى في العالم العربي. . إن غادة السمّان هي رائدة الجريئات في حواراتها وإبداعاتها، صامدة ضد كل المغريات.

محمد شكري

□ غادة فتحت بوابات الحرية وزرعت الشجاعة في قلوب الكاتبات العربيات وأرشحها لجائزة نوبل لأنها افتتحت حقبة جديدة، وفي كل ما كتبت ترافعت عن الأمل والحرية. .

هاديا سعيد

□ نشرُ الرسائل خطوة شجاعة من كاتبة عوّدتنا على المواقف الشجاعة في الكتابة وفي الحياة، وكم أتمنى لو تحذو حذوها أديبات أخريات، وأكاد أجزم ان هذا النوع من الرسائل موجود لكنه مخبأ أو أُتلف.

عبد الرحمن مجيد الربيعي

□ إذا كانت كل كاتبة عربية تملك جرأة غادة السمّان في نشر ما كُتب لهن من رسائل من كتّاب وشعراء وفنانين. . . فإننا سوف نملك شاشة جديدة في أدبنا المعاصر ما زالت خفية وسوداء. غادة تقوم بخطوة رائدة وعظيمة وكسر جليد تختبئ خلفه مئات الرسائل التي ترينا الوجه الآخر لمعظم كتّابنا لو أُفرج عنها من صناديق الخوف.

ياسين رفاعية



ISBN-13: 978-9953-409-83-8
9 789953 409832

دار الطليعة للطباعة والنشر
بيروت